المتغيـــرات التي طالـــت الأســـرة اللبنانيـــة وأثـــر الحـــرب

انعكاســات العنـف الآخـــر للحـــرب

أ. د. منـــى فيـــاض – علـم النفـس – لبنـان

monafayad@hotmail.com

في مراجعة المفهوم التقليدي للأسرة ولدورها الأم: خلال دراستنا الجامعية وما قبل الجامعية، درسنا الأسرة في ديناميتها وفي شكلها الخاص والمعروف لها الآن، أي الناريخي والقابل للتغير كما تبين لنا لاحقاً، وكأنها الشكل الوحيد الممكن لهذه الأسرة. ولكن قراءة كتاب آريس "الطفل والحياة الأسرية في النظام القديم" وفي أعماله اللاحقة مع دوبي في موسوعة "الحياة الخاصة" (1)، تظهر بأن هذه العلاقات تتغير حسب الحقب التاريخية وأنها ليست حقائق أزلية أو ثابتة.

يشير آريس في مقدمة الجزء الأول من موسوعة الحياة الخاصة (2)، إلى أن ولادة الطفل الروماني ليست "واقعة بيولوجية" فقط. فالمولودون الجدد لا يأتون إلى العالم، أو بالأحرى لا يستقبلون فيه، إلا اعتماداً على قرار من رب الأسرة: فمنع الحمل، والإجهاض، وعرض الأطفال المولودين بشكل حي وقتل طفل العبدة كانت كلها ممارسات معتادة وشرعية تماماً. وهو يشير لاحقاً إلى شعوب بعينها (المصريون، اليهود، الألمان...) أنها كانت "تربي جميع أطفالها"، ما يعني أن الأمر لم يكن بمثل البداهة التي نعتقدها. ففي روما مختار الأب الطفل الذي يريده أن يعيش، أما الطفل غير المرغوب فيه فيعرض في ساحة عامة، يأخذه منها من يريد أو يترك للموت. كان التعامل مع الطفل كالتعامل مع الجنين الآن. كذلك يشير آريس إلى أن الطفل يعطى منذ ولادته إلى مرضعة، وللمرضعة وظيفة تتخطى الإرضاع إلى مهمة التربية. فالطفل يبقى معها حتى البلوغ. وهذه عادة كانت شائعة في العالم العربي والرسول نفسه أرسل إلى مرضعة وتربى بعيداً عن أسرته في قبيلة تعلمه اللغة العربية الفصحى كما يجب وهو بعمر سنتين ونصف السنة.

على كل حال يؤكد آريس على أن "صوت الدم" كان قليل الكلام في روما، الصوت الأعلى كان صوت الأسرة. وكان التبني (بمعنى الانتقال إلى أسرة أخرى والانتماء إليها) من الممارسات الشائعة. بينما يعلو صوت الدم الآن ونجد أن أطفالاً متبنين يقضون مضاجع أسرهم بالتبني بحثاً عن "والديهم الحقيقيين"؛ ولدينا أمثلة حية من حالات الأطفال اللبنانيين الذين تبنتهم أسر أوروبية في بحثهم الدؤوب عن أهلهم البيولوجيين.

ويرى آريس في نقاشه لفرويد حول عقدة أوديب وتأويل هذا الأخير لها، وبعد أن يصف الظروف بالغة الصعوبة لحياة الأبناء في روما، أن هاجس قتل الأب ووتيرته "النسبية" في روما، كان جريمة كبرى لا شك، لكنها جريمة قابلة للتفسير بشكل معقول وليست أعجوبة فرويدية. كذلك يناقش جيفري ماسون (3) فرويد في هذه المسألة، في معرض دعوته إلى إعادة النظر في نظرية الإغواء التي تخلى عنها فرويد. وهو يرى أن رفض فرويد لهذه النظرية كان بسبب تقديس مفهوم الأسرة بالذات، والذي كان مسيطراً في القرن التاسع عشر، ورفضه أن تكون العلاقات الأسرية على هذا القدر من الانحلال بحيث يتعرض هذا العدد من الأطفال للاعتداء الجنسي من قبل محارمهم. فما كان منه إلا أن قام بابتكار مركب أوديب حيث اكتشف من أجل ذلك أن ميول الأطفال أنفسهم هي العدوانية تجاه أهلهم وليس العكس. أي أن فرويد قام باستبدال الفعل بالميول، والحدث الواقعي بالخيالات. وتم نسيان ميول الآباء أنفسهم.

في سياق المراجعة للأدبيات المتعلقة بالمرأة-الأم وبالدور المنوط بالأم والمتمثل بالحب الأمومي المثالي والمتفاني، قامت إليزابيت بادنتر (4) بمراجعة مسألة الأمومة كي تلفت الانتباه أيضاً إلى دور مدرسة التحليل النفسي بالذات في تحميل المرأة-الأم عبء مسؤولية الصحة النفسية للطفل، معفية الأب بنسبة كبيرة من هذه المسألة. ويمكن الاستخلاص منها أن المشاعر الأمومية نفسها متغيرة، وأن نوعية علاقة الأم بأطفالها ليس لها مثال واحد حصري وخاصة عند النظر إلى المسألة من منظار تاريخي وثقافي. وهذا ما تشير إليه أيضاً آرليت فارج (5) من خلال تقديمها للوحات ورسومات عدة تمثل أطفالاً صغاراً في وضعيات مختلفة ومنها العائدين من عند الحاضنة في الريف أو في الضواحي الباريسية ونجد أن الأهل قد لا يتعرفون على أولادهم إلا من خلال ثيابهم، بسبب طول غيابهم وتغيرهم في هذه الأثناء. كما أنها تقدم أرقاماً عن أن من بين كل 21 ألف طفل مولودين في باريس كان يذهب 20 ألفاً منهم إلى المرضعات بعيداً عن الأهل. هذا وكان آريس قد أسهب في الحديث عن نوعية الحب الأمومي المتغير وفي اختلاف إظهار المشاعر وتنوعها. وكذلك فعلت بادنتر، في القسم الذي اسمته "الحب الغائب". النتيجة، ليس هناك من مثال أو نموذج ثابت وأزلي، كل شيء متغير ومتحول، حتى في مسألة تعد "بيولوجية" مثل غريزة الأمومة. لذا يصعب التنظير لأشكال وتنظيمات وظواهر اجتماعية قابلة، بحكم طبيعتها بالذات، للتغير والتبدل خاصة في مرحلتنا الراهنة التي حصلت فيها تغيرات بنيوية في مجتمعنا الإنساني، طالت مختلف أوجه الحياة ونمطها ووتيرتها ولم تظهر جميع آثارها، أو لم يتم وعيها بعد.

لكن من المؤكد أننا نعرف في المرحلة الراهنة تغيرات جذرية على الصعيد العالمي فيما يتعلق بالأسرة وبنمطها وتوزيع الأدوار فيها. في كتابها الحديث المتعلق بنفس موضوع الأسرة، تتساءل اليزابيت رودينسكو (6) عن السبب الذي يدعو المثليين الجنسيين، رجالاً ونساء، إلى إبداء رغبة ملحة من أجل تسوية (من سواء وسوي) أوضاعهم والمطالبة بالزواج وبالتبني وبطلب المساعدة الطبية من أجل الإنجاب. تتساءل رودينسكو عن ما الذي حصل منذ ثلاثين عاماً في المجتمع الغربي كي يطالب أشخاص معتبرين كشاذين وغير أسوياء ليس فقط بالاعتراف بهم كمواطنين ذوو

أحقية كاملة، لكن أيضاً محاولة تبني النظام الأسري بكامله والالتحاق به؟

ما الذي حصل كي نمر من مرحلة انتقاد الأسرة وكراهيتها ولعنها علناً (اندريه جيد وجملته الشهيرة:"أكرهك أيتها الأسرة") إلى مرحلة البحث مجدداً عن معيار "للأسروية المستعادة"؟

تجد رودينسكو أن هذه المشاعر التي تعبر عنها هذه الفئات تزرع الاضطراب، وهو أمر يخيف رودينسكو نفسها على ما يبدو. فعودة واندماج هؤلاء الذين كانوا منبوذين يصبح أكثر خطراً بسبب جعلهم غير مرئيين بالذات. إن محو الاختلاف معهم هو الذي يسبب الذعر والخوف من نهاية الأب ونهاية السلطة، ما يعني سيطرة الأمومية اللامحدودة التي برزت في نفس اللحظة التي عرف فيها الاستنساخ.

وترى رودينسكو أن من دون النظام الأبوي والقانون الرمزي تصبح أسرة مجتمعات ما بعد التصنيع مشوهة وشاذة في دورها كخلية قاعدية للمجتمع. فالأسرة ذات الوالد الواحد وذات الوالد من نفس الجنس وتلك المعاد تركيبها والمستنسخة والمكونة اصطناعياً...تصبح عاجزة عن نقل قيمها هي بالذات، أو بالأحرى القيم المحسوبة عليها. وتتغاضى رودينسكو بهذه الطريقة عن مواجهة المعضلة القادمة والتي تسببها التغيرات الحاصلة فعلياً على الأرض في أشكال الأسرة وتنظيمها والتي سوف نشير إليها لاحقاً.

حول تاريخ الأسرة والدراسات عنها

تجد رودينسكو إن الأسرة، بما هي اتحاد مستديم نوعاً ما ومقبول اجتماعياً، لرجل وامرأة وأطفالهما، هي ظاهرة كونية وحاضرة في كل أنماط المجتمعات. وهي تشير إلى أن الأمر الثاني والثابت في تكوين الأسرة عدا عن اختلاف الجنسين، هو تحريم العلاقات الجنسية بين المحارم (7) أو الأقرباء؛ وتستنتج رودينسكو بأن هذين هما الثابتين العالمين لتكوين أسرة وخلال قرون طويلة، مع وجود تنويعات مختلفة عبر العصور والثقافات. وهي ملاحظة صحيحة وسوف نرى لاحقاً علاقة هذا التحريم العالمي بالمقاومة التي يبديها اللبنانيون في الاعتراف بوجود العلاقات المحرمة داخل أسرنا والتي ساهمت الحرب على الأرجح في ازديادها.

بينما نجد أن دومينيك مِهل (8) يكتب في مطلع مقالته عن الأسرة لازمة يرددها "والدين اثنين، لا أكثر ولا أقل". كلمة سر تبدو له فاقدة لمعناها في الوقت الراهن، حيث تتعرض الأسرة وتنظيمها لفوضى عارمة. إن هذه اللازمة تشكل بذاتها "عارضاً" (9) بحسبه لصعوبة التفكير في "الفوضى" الحاصلة ما يستنتج منه أن التطورات لا يعترف بها إلا بشكل متأخر وغالباً بأسف. وهو يعدد أيضاً أنواع الأسر المختلفة الموجودة حالياً: أسر ذات والد واحد، أسر معاد تركيبها، أسر تبني، أسر مع أطفال أنبوب، أسر مثلية.

ويضيف: "تتفجر الأسرة، تتعرض لإعادة تكوين ولتفسخ. لطالما كان عدم الاطمئنان متصاحباً مع تطور العادات المدركة دائماً بشكل سلبي وكأزمة بدلاً عن إعادة صياغة للعلاقات. ما يبرز الآن هو فصل الوالدية عن الزوجية إذا أمكن القول، فالنساء ينجبن وحدهن طفلاً إما بشكل عارض او بحثاً عن الاستقلال عن الهيمنة الذكورية، ما أوجد الأسر خارج إطار الكوبل وتعددت أنواع الأمومة: أم جينية وأم حاملة للطفل وأم اجتماعية. كما أن تعدد الطلاق يقوي الظاهرة، بينما إعادة الزواج توجد وضعيات جديدة لا يكون فيها الزوج هو الأب الحقيقي للأطفال، وكذلك الأمر بالنسبة للأم، بينما يتساكن أطفال غير أشقاء موجدين علاقات أخوة بنسب متفاوتة. ومن الملاحظ أن اللغة تتأقلم مع الجدة الحاصلة في تعدد أشكال العلاقات فلم تعد الأم العازبة أم- بنت. ما يعني انحدار الوسم stigmatization"(10).

هناك إعتقاد بأن شكل الأسرة النواتية، الذي ساد بعد الثورة الصناعية او البرجوازية بحسب البعض، هو الشكل الوحيد الذي عرف للأسرة، هذا بينما يشير مِهل إلى أن نصف البيوت كانت قد تغيرت في نهاية القرن التاسع عشر ولم تعد تتبع هذا النموذج المثالي الذي يتم تصوره على أنه الشكل الأكثر مثالية والمرادف للراحة والعاطفة والنجاح التربوي. بينما بالكاد تستطيع الأشكال الأخرى فرض نفسها كنماذج شرعية.

ومن الملاحظ أن الحروب هي العامل الأساسي في تغير أنواع العلاقات، حتى أن الفرنسيين اعتادوا على تسمية حقبة ما قبل الحرب العالمية الأولى "بالحقبة الجميلة" نظراً إلى السمة الرومانسية التي التصقت بها بعد تجربة الحروب المضنية والتغيير الاجتماعي الجذري التي تسببت وعاشها الإنسان الأوروبي وكأنها زوال لعالم لن يعاش مرة أخرى.

مع ذلك ظل الاعتقاد بوجود كيان ثابت للأسرة سائداً، بحيث أن الباحثين لا يكلون من الإشارة إلى هذا الأمر ، وهو ما نجده في بحث فرنسواز هريتيه (11) التي تؤكد هي أيضاً الاعتقاد الخاطئ السائد في أن الأسرة كان لها نفس الشكل في كل الحقب، وتشير إلى ما قدمه ليفي ستراوس عن الأسر في مجتمعات أخرى ذات العلاقات الأسرية وموقع السلطة المختلفة عما هو معروف في المجتمع الغربي. ولا بد هنا من الإشارة إلى بحث سعاد جوزيف (12) التي تكتب عن ثنائية نظام القرابة في لبنان وعن اختلاف وظيفة ودور كلتى الأسرتين، أسرة الأم التي تقدم الدفء والحب وأسرة الأب التي تقدم السلطة وتراقب السلوك.

ينقلنا هذا إلى الأسرة الشرقية وتاريخها وإلى موقع المرأة فيها. تكثر الآن الدراسات التاريخية التي تعود إلى أرشيف المحاكم الشرعية في تتبع أوضاع الأسر والنساء في عالمنا العربي وتشير أميرة سنبل (13) في هذا السياق إلى اختلاف الأحكام في طلاق النساء بين عامي 1857 و 1959 (أي خلال حقبة مائة عام) بما يوضح التناقض في تفسير تطبيق الشريعة قبل وبعد الإصلاحات التشريعية التي شهدها العالم الإسلامي. وذلك من أجل دحض الفكرة السائدة في دراسات المرأة في الشرق الأوسط بأن هذه الإصلاحات أحدثت تغييرات إيجابية. بينما تجد أن العكس هو صحيح. إذ تؤكد الدراسات التاريخية النسوية (14) على حال المرأة قبل الإسلام إلى اشتراك النساء في حروب قبائلهن، ووجود تعدد زوجات وتعدد أزواج، والقبول العام لنسب الأم. ولقد أعطى الإسلام المرأة الحق بالميراث بعد تحديد صلة الدم كمحدد. الأمر الذي تفسره جرمين تيليون على أن حجر المرأة في الخدر واستمرار عادة زواج الأقارب ترجع إلى رغبة الإبقاء على الثروات داخل حدود الأسرة التي تحددها علاقات الدم (15).

فكرة أخرى يجري التشديد عليها هي فكرة أن الأنماط والممارسات الاجتماعية في تاريخنا الاجتماعي كانت في تضاد صارخ مع الصورة التقليدية التي تقدمها المصادر الرسمية الفقهية والدينية. وهذا يعني أن الحياة التي عاشتها النساء بالفعل قد دفعت الفقهاء إلى تفسير الشريعة بشكل أكثر محافظة: "فكلما جنحت النساء إلى التحرر كلما تشددت التفسيرات". وقد بينت دراسة باربارا شتوفاسر (16) كيف طوعت المجتمعات الإسلامية الشريعة لممارساتها الحياتية الفعلية بدلاً من قبول المثل العليا لأنماط التأويل التي اعتنقها المصلحون في العصور الوسطى. وهذا ما نلاحظه في اللحظة الراهنة، إن واقع النساء ومطالبهن في تضاد مع تنظيرات رجال الدين ورفضهم "لرؤية" الواقع واستيعابه.

وتبين أميرة سنبل أن من الواضح أن القوانين الحديثة المنبثقة في ظل الدولة القومية الحديثة قد أنشأت شكلاً جديداً من السلطة الذكورية في الأسرة يعطي الأفضلية للرجال من أعضاء المجتمع. وفيما ظلت قوانين الأحوال الشخصية معتمدة على الشريعة في تناقض مع الدساتير ذات الطابع الغربي للدول الإسلامية.

كما أن الصورة الجامدة المعطاة للشريعة هي نفسها قابلة لنقاش، وهذا ما فعله محمد عفيفي:"والشريعة ليست جسماً جامداً غير قابل للتغيير، الشريعة تعني القوانين المقبولة. وهي تتغير مع الزمن لأنها اجتهادات الفقهاء والقضاة" (17).

أما الشريعة التي ظهرت إلى الوجود بعد تحديث القوانين وإصلاحات المحاكم فتختلف عن سابقتها لأنها مصممة لمصلحة النظام المهيمن الجديد الذي وصل إلى السلطة كجزء من بناء الدولة القومية. ومن الخطأ الاعتقاد أن الشريعة المطبقة في صورتها القديمة هي السبب في قهر المرأة الحالي، بينما واقع الأمر أن سبب القهر يكمن في الإصلاحات الحديثة وأسلوب التعامل مع قوانين الأحوال الشخصية. وهذا ما أوضحه مقال مادلين زلفي (18) أن الدولة القومية الحديثة شجعت الإصلاحات التشريعية التي زادت من سيطرة الدولة على الأسرة من خلال تضخيم سيطرة الرجل على المرأة (الزوجة والابنة) وعلى الأبناء القصر (بنات وبنين)، وكان ذلك من خلال سن القوانين التي أقرتها الدولة وتوحيد نظم تعليم القضاة، وإعادة هيكلة نظام المحاكم. وقد حدت تلك الإصلاحات من قدرات المجتمع على الحركة، وهي القدرات التي كانت متاحة من قبل عندما كان في مقدور القضاة أن يختاروا من بين المذاهب الفقهية الإسلامية والأعراف السائدة.

وهذا ما تفصله أميرة سنبل (19) في بحثها عن فكرة العلاقة بين نشأة الدولة القومية الحديثة وانحطاط دور المرأة وتعرضها للعنف على أنواعه، فتلخص:

1- توجد علاقة تبادلية بين القوانين الخاصة بالجنسين في العصر الحديث وبين نشأة نظام أبوي حديث كان آخذاً في الظهور كجزء من عملية بناء الدولة الوطنية. وبالرغم من تبني الأمة – لخطاب الحداثة، فإنها كانت في نفس الوقت تؤكد مجدداً على السيادة الذكورية وترغم التعبئة العامة للرجال والنساء لخدمتها.

2- يعتمد الأسلوب المستخدم في صياغة قوانين الشريعة الحديثة على التلفيق بحيث يتم دمج شذرات وأجزاء من القوانين الغربية مع تفسيرات المذاهب المختلفة كي يكونوا ما أصبح يعرف بقانون الأحوال الشخصية بالرغم من أن ما كان يتم وضعه نظام جديد إلا أنه تم وضعه في إطار إسلامي "شرعي" وفكرة هذا النظام القانوني كقانون الأحوال الشخصية منفصل لم يأخذ وضعاً محدداً في مصر قبل القرن العشرين فإن العمل به أثبت أنه ذا أهمية قصوى بالنسبة للنساء".

هل ثمة متغيرات طالت الأسرة العربية واللبنانية في السنوات الأخيرة؟

من أجل رصد التغيرات الحاصلة وتفاعلنا معها واثر ذلك على نظرتنا البحثية، عدت إلى الفصل الذي كتبته في نهاية السبعينيات حول "موقع الأسرة والطفولة في الحضارة العربية-الإسلامية" (20)، فوجدت أنني كتبت بنوع من الحماس الزائد إذا أمكن القول؛ بحيث لو أنني أعدت كتابته الآن لفعلت ذلك بطريقة مختلفة، أكثر حيادية. كيف ذلك؟ ربما من المفيد أن أذكر أن الهدف أو المنظور الذي كتبت من أجله ذلك الفصل حينها كان محاولة لفهم خصوصية وضع الطفل في هذه الثقافة، وخاصة الطفل المتخلف عقلياً. وذلك بعد أن لفت نظري كتابات كل من Foucault, Misès, Ariès et Weulersse (21) حول الطفولة عامة، وحول موضوعة التسامح والموقف الخاص من الطفل في هذه الحضارة. الأمر الذي جعلني أعود إلى الجذور التاريخية للموقف المتسامح تجاه الطفل المعوق والذي كان نموذجه موقف جارة لنا، من أصول ريفية ومتدينة ومحافظة على تقاليدها، من ابنها المعوق عقلياً ونوعية حمايتها الملفتة له من اعتداءات أطفال الحي ومن إهمال المؤسسات ومن موقف بعض الأطباء المحمل بالآراء المسبقة.

كما شكل القرآن وأحاديث النبي التي تزخر بالأمثلة التي تحض على التسامح الخلفية التي دعمت مثل هذا التوجه. ربما لا نزال نجد أن بعض أنواع السلوك والممارسات لا تزال سائدة حتى الآن، وربما كانت ملاحظاتي تصح على الوضع الذي سبق الحرب في لبنان، ولكن هذا التحليل لم يعد يكفي الآن. ربما هو التغير الحاصل بسبب الحرب أو بسبب الدور المتعاظم للإعلام الذي يساعد على انتشار المزيد من الصفات العامة المشتركة بين البشر (أي ما يطلق عليه اسم العولمة)، الأمر الذي يجعل التجارب الإنسانية المتنوعة والشديدة الاختلاف في متناول الجميع مع ما يحمله ذلك من إمكانية التأثر بها وفي إحداث التغيير في أنواع السلوك أو على الأقل تمايزها واختلافها عن الموروث؛ لكن ذلك كله لا يمنع التمسك بالخصوصية والاندفاع فيها كنوع من الدفاع عن الذات من ناحية أخرى.

وأول ما لفت نظري بعد الحرب وأثناء حضوري لزفافين تقليديين إذا أمكن القول، هو وعيي المفاجئ، من موقع الباحثة - وليس من موقع المشاركة أو المتورطة- الاختلاف الذي لاحظته حديثاً في مسألة الزفاف هذه والعودة إلى تقاليد كنا قد اعتقدنا أنها انتهت. وانتبهت إلى أن بداية السبعينات، و قبيل الحرب مباشرة، كانت مرحلة تشكلت فيها فئة اجتماعية جديدة حملت أفكاراً وقيماً جديدة وقامت بممارسات مختلفة عبرت فيها عن مفاهيم غير تقليدية طالت الزواج والأسرة والإنجاب والموقف من الذات والآخر. الأمر الذي كان موضوع بحثي في العدد الأول من باحثات: "الكوبل"، نمط آخر من الزيجات في بداية السبعينات – نظرة مغايرة للذات وللتقليد.

والاستنتاج إن التغيرات حدثت وتحدث بسرعة وكثافة، ونكاد أن نلحظها عيانياً ولكننا لم يتم التعبير عن ذلك على المستوى النظري؛ ففي فترة طفولتي لم تكن النساء كثيرات في شوارع مدننا، وكن عندما يخرجن إليها يسرن مسرعات متلفعات بأنواع مختلفة من الأحجبة منها ما كان قريباً نوعاً ما من الملابس السائدة الآن في شبه الجزيرة أو في اليمن. بمعنى أنهن لم تكن مكشوفات الوجه أو حتى ظاهرات للعيان. وكان هذا حال جدتي ووالدتي (22) قبل أن تتزوج. أما الآن فإن نظرة من حولنا تجعلنا ندرك كم أن المرأة موجودة في الشارع، فلكأنها تركت البيت الذي كان موقعها الأساسي وخرجت لتنزل إلى الشارع والمقهى وأماكن التنزه، كما دخلت المكتب والمصرف والمعمل... إنها حاضرة في كل الأمكنة. وهذا تغير هائل في عمر إنسان واحد، حيث أن التغيرات في السابق لم تكن تقاس في فترة زمنية بهذا القصر. إنه تغير كبير يصيبنا بالدوار فمؤسسة الزواج تتغير ودور المرأة فيها يتغير (23). الأمر الذي يعني تغير وضعية الأسرة، وظيفتها ودورها طالما تغير وضع حاملتها الأساسية وحاميتها.

الأمر الآخر الذي ساهم في لمسي لمدى التغيرات والتمايزات الحاصلة كان نتيجة عملي على السجناء (أطفالاً وكباراً) وجمعي لسيرهم الذاتية (هذا بالإضافة إلى الملاحظات العيانية التي يقوم بها كل منا كفرد يشكل جزءاً من المحيط الذي يعيش فيه)؛ ما أوضح لي أننا غالباً ما نمتلك عن أنفسنا صورة تكون مختلفة أو هي لا تزال سابقة على التطورات الحاصلة فعلياً وميدانياً أو التي سبق و تكونت في الواقع. فالفكرة السائدة التي نكونها عن الأسرة في مجتمعاتنا هي أنها متماسكة ومتضامنة (التعبير الإسلامي المستخدم هو التكافل) وتقوم مقام الدولة ومؤسساتها في عملية دعم أفرادها وحفظ حقوقهم على مختلف الأصعدة. وشعارنا عامة: الحمد لله إن مجتمعاتنا لا تزال في منأى عن التفلت الحاصل في الغرب والأفراد لم يعرفوا بعد التحلل والتمزق والأسرة لم تتفكك...وإلى آخر هذه الشعارات التي تستخدم الإواليات الدفاعية بالمعنى النفسي كي تركن إلى ما تطمئن إليه أمام التغيرات أو التهديدات الممكنة. ربما لا تعرف مجتمعاتنا أنواع العنف المرضي الغربي، لكن يجدر بنا عدم نسيان عنف الحرب اللبنانية التي ذهبت مثلاً بحتذى وصار يكفي أن نشير إلى "لبننة" حرب ما، كي نعرف تقريباً ما هو المقصود؛ أي العنف الأهلي المتنقل والمتجدد والمتكرر؛ والممارسات العنفية التي حصلت كانت سباقة وشكلت نموذجاً يحتذى في أنواع التمثيل بالجثث والتنكيل بالمحجوز عليهم والمسجونين والمخطوفين، بحيث تم تطبيق آخر صرعات أفلام العنف الشديد. والأسر نفسها عانت من التفكك ومن المشاكل على أنواعها. ولست أملك هنا معطيات محددة (24)؛ هذا دون أن ننسى عنف الأنظمة العربية تجاه

مواطنيها وممارستها لأقصى أنواع التعذيب والقمع والإرهاب ولو بدرجات متفاوتة بلغت أقصاها على يد أحدث نماذج الطغاة العالميين صدام حسين (25). ربما لذلك ينبغي أن لا أسأل نفسي عن سبب عدم تفجر الأوضاع أكثر مما هو حاصل وأجد أن السبب ربما يعود إلى اعتياد الإنسان العربي على القمع وإلى قدرته على التحمل والمكابدة أكثر مما يعود إلى مسألة التكاتف والتعاطف الذي يحصل عليهما بالضرورة من الآخرين. كما إن نمط تربيتنا يجعل من الخضوع والامتثال والطاعة وتقليد الأكبر سناً هو السلوك المستدخل من قبل المواطن العربي. ونسأل هنا هل يمكن لشعب أن يتحمل ما تحمله الشعب العراقي؟ إنها القدرة الفائقة على الاحتمال (صبر أيوب) وعدم البحث عن منفذ، أو منفذ آخر ممكن. لذا أفكر أن الإنسان العربي لم يستوعب، أو هو لا يتطلب أصلاً، فكرة مسؤولية الدولة والمجتمع عن مصائبه بل هي مسألة بينه وبين ربه الذي بيده هو نجاته أو خسارته. الأمر الذي لم يعد الإنسان الغربي ليقبل به فهو يعي حقوقه ويطالب بها. يتعلق الأمر ربما بكيفية تشكل الدولة-الأمة التي حصلت في سياق مختلف عن السياق الغربي وحصلت في بلادنا كتقليد للغرب وبسبب التدخل الاستعماري المباشر في تقاسم البلدان وتقسيمها بين القوى الكولونيالية حينها، أكثر مما حصل كتطور في المتطلبات والذهنيات نابع من سياق داخلي. ولكن هذا موضوع آخر.

في الدراسة التي قمت بها عن السجن (26)، لاحظت لدى المسجونين وبالرغم من تخلي أسرتهم عنهم، بحيث قد يترك الأولاد المدرسة إذا لم تستطع الأم تأمين أقساطها، ومع ذلك نجد لدى السجناء "وهم" الركون إلى أقاربهم مثل الوالد أو الأخ أو العم؛ وهو وهم أكثر من كونه واقعاً ملموساً. إذ يكون السجين في أسوأ حال ويخبرني عن أن أسرته تدعمه وتهتم به أو أقاربه ويعود في مناسبة أخرى يذكر، مع تنهيدة، أن أمره لله وأن "ما حدا لحدا". وذلك أكان متزوجاً أو عازباً. فغالباً ما لا تحصل أسرة السجين وأولاده وزوجته على الدعم المنتظر لها من هذه البنى التقليدية (27).

الأسرة تتغير بالطبع ولم يعد هناك Stereotypes من الآن وصاعداً، فليس هناك من أسرة شرقية نموذجية بعد الآن، هناك "أسر" بمعنى الجمع والاختلاف والتمايز. أخبرتني إحدى الطالبات منذ فترة قصيرة عن نفسها وأسرتها ووالدها ونظرتها إلى نفسها وأخبرتني أنها اكتشفت أن شاباً إنجليزياً في مثل سنها تراسله بواسطة البريد الإلكتروني يخضع لضغوط من جانب أسرته حول حرية حركته تفوق الضغوط التي تتعرض لها هي نفسها (هي ابنة لأسرة عاشت في الخليج ولأب متفتح بالرغم من ذلك، لكن نعرف جميعنا ما يعنيه العيش في الخليج لجهة الضغط والممارسات...). هل يمكن بعد الآن الركون إلى "أنماط اجتماعية" موحدة في مجتمع ما؟ أم إلى فئات وطبقات تتشابه أكثر فأكثر على الصعيد العالمي وتختلف باختلاف الطبقة الاجتماعية والمستوى التعليمي ونوعية الثقافة؟ هل يمكن أن أعد نفسي أقرب إلى فلاحة من بلادي أم إلى باحثين غربيين من مجتمع آخر؟ وهل تشبه أسرتي أسرة عامل أو فلاح من هذا الوسط أم أسرة متوسطة أقرب إلى النمط الغربي؟ خاصة إذا أخذنا العامل الثقافي والانتماء إلى مفاهيم الديموقراطية الليبرالية بعين الاعتبار؟

ملاحظات أولية حول الأسرة من خلال العمل الميداني في إطار البحث عن المراهقة العربية:

تأخر سن الزواج

إن التغيرات الحاصلة في الواقع في عالمنا العربي كثيرة، وخاصة فيما يتعلق بوضعية المرأة. وعلى كل حال تجمع التقارير في الكثير من البلدان العربية على تأخر سن الزواج. ففي المغرب، واستناداً إلى تقارير المسح الديموغرافية، يرد ما يلي: "لم يتوقف سن الزواج الأول عن التزايد منذ العام 1960، حينها كانت هذه السن 18 عاماً، لكنها بلغت الآن 27 عاماً. وتزايد تناول حبوب منع الحمل من 8% في الستينات إلى 60% الآن". كذلك تأخر سن الزواج في تونس (29،2 سنة للفتيات و 32،5 للفتيان) أي متوسط 16 عاماً بعد البلوغ. كذلك تأخر سن الزواج في لبنان إلى متوسط 29 سنة (بحسب إحصاءات وزارة الشؤون 1996).

أما المجتمع اليمني فلا يزال يتميز بانتشار ظاهرة الزواج المبكر بين الذكور والإناث، ورغم التحسن النسبي الذي طرأ على سن الزواج لأول مرة بحيث بلغ 23،63 سنة للجنسين (25،35 للذكور و 21،94 للإناث) إلى أن الواقع يشير إلى استمرار اتجاهات الزواج المبكر في الأسرة اليمنية (28). وقد أشارت العديد من فتيات العينة أثناء المقابلات أنهن سوف يتزوجن في الصيف وبعضهن كن مخطوبات أو متزوجات. ويبدو أن الزواج المبكر يشكل ظاهرة خليجية؛ إذ مع الإشارة إلى رصد ارتفاع في سن الزواج في البحرين (29) فهو لم يتحسن سوى بنسبة بسيطة من 21،9 في العام 1990 إلى 22،3 عام 2000. وما يشجع على مقاومة ظاهرة الزواج المبكر واستمرارها عدم تشجيع المجتمع الخليجي عامة على الاختلاط بين الجنسين.

ولم تعد العزوبية تعني، في البلاد العربية ويتحفظ، شذوذاً وخروجاً عن تقاليد المجتمع (30). نلاحظ الآن ظاهرة جديدة تعبر عن نظرة نقدية ومتسائلة لمسألة الزواج، وخاصة بعد بروز الصعوبات والمشاكل الأسرية إلى العلن وعلى قاعدة التطور الحديث الذي غير في وظيفة الأسرة من ناحية وفي متطلبات أفرادها من بعضهم البعض من ناحية أخرى. تعبر ماجدة (مصر) عن أن *"أغلبية المتزوجين يشكون من الفقر، فالزواج هربٌ من الفقر يوقع فيه، وكذلك تسمع بالمشاكل، من يضرب زوجته أو الإنجاب ومشاكله والطلاق"*. الأمر الذي لا يشجعها على الزواج. وهو موقف بعض الفتيات في لبنان، نقول إحداهن *"أنها لا تفكر كثيراً في الزواج، فهي تكره فكرة بقاء اثنين مع بعضهما، بس لأنه صارت عادة؛ مثلاً عادة أنه آخذ klinex (محرمة ورقية) وامسح تمي"*. لكن ذلك لن يمنعها عن أن تجرب الزواج. كذلك نجد هذا الاتجاه عند بعض الشباب ذوي الميول اليسارية أو الليبرالية، فالبعض منهم ضد مبدأ الزواج. وبعض الفتيات يضعن شروطاً للزواج: *"فالشريك المثالي يجب أن يكون مثقفاً وأن يفهم متطلباتها، فالمرأة يجب أن تحصل دائماً على استقلالية معينة؛ وهي ترفض كل ما يتعلق بالعقلية القديمة، مثل بقاء المرأة من أجل العمل في البيت؛ فإذا تطلب شريك المستقبل أن تترك عملها بعد الزواج تفضل أن لا تتزوجه"*.

الحصول على موافقة الأهل

يشير المسح التونسي، بالإضافة إلى تأخر سن الزواج، إلى التغير الذي طرأ على أنماط وكيفية الزواج، فنجد أن تعرف الزوجين المقبلين على بعضهما عبر علاقات الجيرة والقرابة في نقصان مستمر من عقد إلى آخر (31): " *وهو ما يعني تراجع دور الأسرة في اختيار قرين البنت (كان في عام 1971 89% أصبح في العقد الأخير 72%*". وهو ما يعني أن الجيل الجديد يعتبر الزواج مسألة شخصية، أكثر فأكثر، وليست جماعية بحيث يعود القرار فيها إلى الأسرة. فمونيا مثلاً (الجزائر) غير منشغلة بالزواج حالياً، وعندما يشرع الباحث في سؤالها عن ضرورة الزواج، تقاطعه مجيبة: *"لا، صراحة لا، أرى نفسي أعيش منفردة أو أعيش مع شخص أحبه"*. *وصحيح أن رأي والديها مهم، لكن الزواج يتعلق بقرارها هي، فاختيار الزوج "مسألة شخصية"*. وهي على استعداد للقطيعة مع والديها *"لأنهما لو يكنان لي احتراماً، فيجب عليهما احترام قراراتي بكل بساطة"*. إن رفض الوالدين لخيارها يعني ببساطة عدم احترامها. وعبر البعض بوضوح أن الخيار متعلق بهم وحدهم *"الشخص يأخذ المرأة التي اقتنع بها، فهو من سوف يعيش معها وليس الوالدين"*.

وهذه من دلائل بروز الكائن الاجتماعي كفرد له استقلاليته ويعتمد على آرائه الخاصة في خياراته المصيرية. وأن الحب والتفاهم بين شخصين هو الأساس وليس مصالح أسرتين، إذ لا يغيب عن بالنا أن الزواج في المجتمعات التقليدية هو شأن عام واجتماعي وتقرره مصالح

الأسرتين المعنيتين (32).

ولقد تم التعبير عامة خلال دراسات الحالة، وفي جميع البلدان، عن هذا الميل إلى التغيير عند الجيل الجديد. ففي أكثر من حالة في مصر ولبنان والمغرب، برزت ظاهرة رفض الفتاة للزواج (هكذا) أو ربطه بشروط تراعي المشاركة المساواتية التامة بين الزوجين، وعدم قبول استعادة سيرة الأم العاملة التي تضنى في العمل خارج المنزل وداخله. وبرزت عدة حالات تجد أن الأولوية في خططها للمستقبل تعطيها للعلم والعمل قبل أو في مثل أولوية الزواج. ولو أن هناك من يعتبر العمل نوعاً من وسيلة من أجل تحسين شروط الزواج نفسه. وهذا رأي سيرين (تونس) التي لا تريد *"أن تتزوج قبل أن تحسن مستواها كي لا يأتي يوم يعيرها فيه زوجها ويشعرها أنه أفضل منها، وهي تريد أن تحقق حلمها قبل الزواج وتصبح مصممة أزياء"*.

يختلف الأمر في اليمن (33) نوعاً ما، فمعظم المراهقين يقدرون رأي الأهل والمساعدة في الاختيار ولا يوجد رفض كبير لدورهم بل هم يستأنسون برأي الأم والأب وكبار الأسرة *"لما يتمتع به هؤلاء من خبرات وتجارب وحرص على الأبناء"*، كما عبر الكثيرون. فنادر يرى: *"رأي الأسرة ضروري"*، وشهاب يقول: *"طبعاً في حاجات أنا مش شايفها، مثلاً هم شايفين حاجات بحكم التجربة أكيد عارفين أكثر مني"*، وعمرو يرى: *"رأي الأهل مهم لأنهم سوف يختارون له الزوجة الصالحة"*، ورويدا ترى: *"أن أهلها أدرى بمصلحتها"*. ولكنهم مع ذلك غالباً ما يرفضون الإجبار وفرض زوج أو زوجة دون اعتبار للطرف المعني بالزواج أو لمجرد تحقيق مصالح عائلية. ويعتقد المختصون اليمنيون أن رغبة هؤلاء في تدخل الأهل والاستئناس كثيراً برأي الأم أو الأب ربما يرجع إلى محدودية مساحات الاختلاط في المجتمع ، وبخاصة أن هناك فصلاً بين مجتمع النساء ومجتمع الرجال في الجلسات والحفلات والمناسبات، التي تتيح مزيداً من الاختلاط والتعارف. ولهذا عول معظم العينة من الذكور على مساعدة الأم. كما لوحظ وجود رفض متزايد للارتباط والزواج المبكرين، حتى تلك الحالات التي ظهرت في العينة متزوجة مبكراً ترى أنه قد وقع عليها الظلم بهذا الزواج المبكر. فنعمة التي لا تزال في مرحلة المراهقة وتزوجت مبكراً تقول: *"تزوجت كذا على طول ... لما كان عمري صغير... وهو كان صغير السن 16 سنة يعني أحنا أتظلمنا* وتواصل حديثها بالقول: *أهلي لم يعطوني حرية الاختيار، وكنت أمام الأمر الواقع... ولكن زوجي متفاهم جداً متسامح يتحمل مثلي وصابرين"*.

مواضيع النزاع

وهكذا نجد بروز تغيرات عدة على مستوى متطلبات الجيل الجديد من الأهل بشكل عام، وقد نرصد هذه التغيرات بواسطة طرق عدة، ومنها مواضيع النزاع بين الجيلين الجديد والقديم. ومع أن هناك فئة من المراهقين الذين لا يظهرون وجود الكثير من التناقضات بينهم وبين أهلهم. وقد يختلف الوضع من بلد إلى آخر، فالتغير موجود بشكل ملموس في مجتمع كالمجتمع المغربي الذي يعرف حراكاً مهماً، نلاحظ أنه أقل حدة أو هو غير واضح بعد، في مجتمع كالمجتمع اليمني أو الخليجي عامة، حيث لا تزال العادات والممارسات التقليدية هي السائدة. مع ذلك هناك تلمس لتغير، فإذا كانت مواضيع النزاع بين الجيلين تطال الخروج ومواعيده أو رفقة الجنس الآخر أو اللباس وعصريته في بلدان مثل تونس والمغرب ولبنان، إلا أن ذلك لا يعني أن المجتمع اليمني ثابت، إذ نلاحظ أن اللثمة مثلاً أو حجاب الوجه هي موضع تساؤل من الكثيرين، من الجنسين، في بلد كاليمن وحتى أن البعض يجد أنها تدعو إلى الفتنة والسلوك المنحرف (34). وهناك شكوى في اليمن من سن الزواج المبكر وكثيراً ما تعبر بعض الفتيات عن أنها "ظلمت هي وزوجها" بسبب تزويجهما بعمر 15 و 16 عاماً. بينما لا يوجد تطلب فعلي للسماح بالصداقة بين الجنسين في اليمن وفي البحرين نوعاً ما، إلا أن هذه تطلب يجده الجيل الجديد محقاً في بلدان مثل تونس ولبنان، والاختلاط موجود بدرجة أكبر في المغرب على ما يبدو.

من الملاحظ أن المدن تتعرض لوتيرة سريعة من التغير أكثر من الأرياف، فنلاحظ (انطلاقاً من عملنا الميداني في لبنان) أن العلاقات بين الأقارب عند سكان المدن أقل حميمية وشيوعاً وتنوعاً والتراخي والفتور حتى ما بين الأخوة، ويسود نمط علاقات عصري حديث طابعه الالتجاء إلى كنف الأسرة النواتية أكثر فأكثر. لكن يختلف الأمر نوعاً ما في الأوساط الشعبية. ففي مقابلات المراهقين ظهر جلياً ندرة العلاقات الواسعة والتكافلية أو المحافظة على وشائج القرابة في الأسر. وفي حال وجود علاقات متماسكة نلاحظ ان وفاة الجدين عامة أو أحدهما يضعف الروابط بين الأسر حتى في الريف.

من المواضيع التي تخضع للتغير وللتفاوض بين الجنسين مسألة تقسيم العمل، أو من يقوم بالمهام المنزلية. فمن الملاحظ أن العمل المنزلي لا يزال بشكل عام منوطاً بالمرأة وأن المراهقة تمضي وقتاً أطول بكثير من المراهق في ذلك. لكن هناك تغيرات عدة، فالفتاة، في لبنان خاصة، بدأت تعترض على هذه النوع من التمييز ولو أن الفتاة الريفية والمدينية الفقيرة أقل اعتراضاً. لكن من الملفت أن التغير يحصل عند جيل المتعلمات اللواتي أصبحن أكثر تطلباً وظهر ذلك جلياً في المسح القومي الذي تم في مصر (35)، فلقد أبرز هذا التقرير (36) ميل الفتيات إلى تطلب المساعدة والمشاركة فيما يتعلق بميزانية الأسرة (71،8% للفتيات و 53،3% للفتيان) ومشاركة الزوج في تعليم الأولاد وتتطلب الفتاة فرصة العمل خارج المنزل. في اليمن هناك بدايات رفض للتمييز السائد ضد المرأة، ولأفضلية الذكور على الإناث في المعاملة. أشارت إلى ذلك مراهقات ومتخصصات. هذا التمييز يناقش بشكل أكبر وهو موضوع رفض أكبر في بلدان مثل لبنان وتونس والمغرب.

كذلك نلاحظ في هذه البلدان حصول نزاعات حول الملابس، فملابس الفتيات تنحو لأن تقلد الملابس الشائعة عالمياً (فلم يعد مناسباً أن نسميها غربية!)، بينما يتطلب الأهل بشكل عام احتشاماً أكثر؛ ولو أن مفهوم الاحتشام مطاط وغير محدد وهو يتغير بتغير مكان السكن والفئة الاجتماعية. فقد تعترض فتاة لبنانية مدينية عن السماح لأخيها بالسهر حتى الثانية عشرة ليلاً بينما تمنع هي عن ذلك، في مقابل فتاة مدينية فقيرة من حي شعبي أو أخرى ريفية تطلب مجرد السماح لها بالخروج حتى نهاراً من دون مرافقة أخيها. كما أن لعدم الاحتشام معنى مختلفاً لفتاة مدينية يطلب منها الأهل مجرد عدم "كشف بطنها" وبين أخرى ريفية تمنع من ارتداء البنطلون الضيق دون تغطيته بتنورة.

الحروب كمسبب أساسي للتغيير

سوف أعتمد على كتاب غاستون بوتول (37)، هذه هي الحرب، كإطار نظري أسترشد منه الخطوط العريضة للآثار أو البصمات التي تتركها الحرب على مجتمع معين، وسوف أحاول تطبيقها على الأسرة في لبنان.

اقترح بوتول لفظة Polémologie التي أخذها عن اليونانية. وهي مؤلفة من polemos وتعني الحرب وlogos وتعني دراسة معتبراً إياها ظاهرة اجتماعية. يعتبر بوتول: *"إن الحرب أروع الظاهرات الاجتماعية بلا خلاف. وإذا كان علم الاجتماع، كما قال دوركهايم، "التاريخ مفهوماً على صورة ما" استطعنا أن نقول: إن الحرب هي التي ولّدت التاريخ. فالتاريخ بدأ في الواقع بكونه تاريخ المعارك المسلحة دون غيره، ولعله سيبقى دوماً تاريخ المعارك"* (38). وهو يرى أن كل الحضارات المعروفة كادت أن تبدأ بالحرب، كما هي الحال مع الحضارات الحديثة. والحرب هي أيضاً العامل الأساسي الذي يلعب دوراً كبيراً في *التحول الاجتماعي*. وهي برأيه تقطع سبيل العزلة وتساهم في نشر الأزياء، وينهي تعليقه بكلمة واحدة: *إنها صورة من صور الانتقال المعجل"* . ويتتبع الكتاب التنظير المعطى لضرورة القيام بالحرب ولتمجيدها عند الأديان والشعوب المختلفة.

وإذا ما عدنا إلى التاريخ الأوروبي نجد أن الحرب العالمية الثانية هي التي ساهمت في تغيير وضع المرأة الجذري وفي خروجها من البيت إلى ميدان العمل بسبب انشغال الرجل في الحرب. وتجد بادنتر أن هذه الحرب هي في أساس استعادة التساؤل حول القيم التقليدية التي كانت سائدة في أوروبا وفي أصل ما أسمته قسمة العالم الاقتصادي بين النساء والرجال (39). وهذا كان من أهم التغيرات التي حصلت في القرن العشرين وأدت، مع اختراع حبوب منع الحمل، إلى الثورة الجنسية التي ترتب عليها أهم ما حصل في القرن العشرين من سيطرة النساء على أجسادهن وتحكمهن في الولادات الأمر الذي حرر النساء فعلياً وجعلهن يتقاسمن العالم مع الرجال.

فإذا ما حاولنا الاسترشاد بهذه المقولات وتطبيقها على واقعنا من أجل رصد بعض التغيرات التي أحدثتها الحرب اللبنانية، أو لنقل من أجل الدقة، ساهمت في تعميقها فقط أحياناً، فماذا نجد؟ الحرب كما يراها بوتول تساهم في انتقال الثروات (40) إفقار فئات والصعود بأخرى، وإحداث أثر كبير على السكان (41)، ومنها زيادة الوفيات وخاصة الفتيان. وهذا ما حصل في لبنان، وسوف نرى أثر ذلك على العلاقة بين النساء والرجال وخاصة على موقف الفتيات من الزواج والعزوبية المتزايدة. وللحرب بنظره دور ديموغرافي أكيد، ويبدو أن الحرب ساهمت في لبنان في ازدياد وتيرة التغير الديموغرافي الذي كان في بداياته، مثل تأخير سن الزواج وهجرة الشبيبة التي تجمع الملاحظة والتقارير على ازدياده...

أما التغيير الأكيد الذي تسببه الحرب، فهو ما أطلق عليه بوتول "الحرب والعيد"، فشبه الحرب بالعيد، فبماذا تشبه الحرب العيد ؟

العيد أولاً هو الاجتماع المادي لأفراد الجماعة (42)، وما حصل في الحرب اللبنانية تسبب في تلاحم الأسر وتجمعها في بيوت ومدن وقرى تكون أكثر أمناً، بسبب تنقل الحرب اللبنانية من منطقة إلى أخرى على مدى السنوات. كما أدت إلى تلاحم الجماعات اليومي في المنازل والملاجئ، الأمر الذي تسبب بالازدحام من ناحية وبالاحتكاك المستمر بين الأفراد (أسر نواتية مع أسر ممتدة مع جيران، مع ما ينتج عن ذلك من صعوبات) من ناحية أخرى. يضاف إلى ذلك كله أن الحرب (43) تكون مصدر تسلية، فتنتزع الفرد من محيطه المعتاد وتضعه في محيط مادي ونفسي غريب، فهي قبل كل شيء مصدر انفعالات لا يضاهى. وقدمت الحرب اللبنانية الكثير من الأمثلة لمثل هذه الانفعالات قدمت هدى بركات بعض نماذج منها في كتابها حجر الضحك انعكست في ممارسات جنسية عشوائية، الأمر الذي ينعكس على الأوضاع الأسرية وعلى علاقاتها الداخلية.

كذلك يجد بوتول أن العيد يولد شيئاً من عدم الحساسية الجسدية، فيتحمل الأفراد حينئذٍ ويستسلمون إلى نوبات غير مألوفة تصل إلى أن تجعلهم يقبلون ضربات أو أنواعاً من القصاص الجسدي. وهذا يعني أن الأفراد يتحملون الكثير من الصعوبات خلال الحرب، لكن ماذا عن وضعهم عند انتهائها؟ فالحرب ساهمت بتغيير الظروف والشروط الطبيعية لمعيشة الأسر وهذان عاملان مسببان للتوتر والسترس بحد ذاتهما (44). ولذلك آثار نفسية عميقة لم تتم دراستها حتى الآن، لكن يمكن الإشارة بسرعة إلى ازدياد التوترات وتعميقها داخل الأسر وإلى ازدياد العدوانية والمشاكل النفسية بشكل عام. الأمر الذي لا نزال نلاحظه و نعاني من آثاره في لبنان حتى الآن. وهو ما يظهر في الإقبال الكبير على تناول الأدوية المتعلقة بالأمراض العصبية من تلك المهدئة والمنومة وما شابه بشكل عام.

يشير بوتول أيضاً إلى أن العيد هو شعيرة تنفق فيها الأموال أو تبعثر، فالجماعة تستهلك الخيرات التي كانت قد جمعتها وتتلفها في الفرح والهيجان، وهذا ما حصل في الحرب اللبنانية وفي المرحلة التي تلتها وأدت إلى تدهور وتردي الوضع الاقتصادي والاجتماعي وإلى تراكم الديون العام والذي ينعكس على الأسر. وقد نتج عنه العديد من المشاكل، لكني أكتفي بتسجيل ظاهرة ملفتة وجديدة كلياً على المجتمع اللبناني تتمثل في الهجرة بشكل عام وفي هجرة الفتيات بمفردهن وخاصة إلى كندا.

المسألة الأخرى التي يشير إليها بوتول وتتسبب فيها الأعياد والحروب وهي التي تشكل محور اهتمامنا هنا، ظاهرة هدم بعض القواعد الأخلاقية ورفع المحرمات (التابو)، بحيث تباح أعمال كان من المألوف تحريمها فتصبح مستحبة أو تفرض فرضاً (45). وينطبق هذا بشكل خاص على مشكلة التهجير وما تتسبب به، وهو ما سوف نتتبعه ميدانياً عبر دراسة الحالة (حالات زنى المحارم والعنف الجنسي) وكيف ينعكس ذلك على المرأة تحديداً.

الفتاة العازبة (46)، أو أثر الحرب في تأخير سن الزواج وتغيير النظرة إليه

التقت حولي في الجامعة فأجد الصبايا أكثر عدداً من الفتيان؛ و أجد أن معظمهن عازبات، و المتزوجات النادرات بينهن تزوجن بالكرا. تلفتني هذه الظاهرة منذ فترة بحيث يمكنني القول أن صفوفي، حتى العالية منها (دبلوم، ما يعني الأكبر سناً)، مكونة من طالبات عازبات.

ما السبب؟ لا يمكن أن تكون الإجابة على هذا السؤال بسيطة : كأن أقول أن الفتيات اللواتي يكملن تعليمهن فقط هن العازبات و بسبب من ذلك. خاصة في بلد يعتبر ذي طابع شرقي، أي أن الزواج المبكر و تكوين أسرة يعدان من الأولويات الاجتماعية. لا بد من الاعتراف إذاً بان واقعنا يتغير، أولويات فتياتنا و فتياتنا تتغير. إن نظرة سريعة من حولنا سوف ترينا أن سن الزواج يتأخر من ناحية، وان عدد العازبين و العازبات يتزايد من ناحية أخرى. وكأن ما يطلق عليه اسم "عانس" صار ابعد في الزمن و اقل إثارة للخوف!

سألت طالباتي عن السبب الذي يبقيهن عازبات و عن نظرتهن إلى الزواج، وسألت الطالب الوحيد الذي كان بينهن، و هذه بعض الإجابات و الانطباعات التي كونتها :

سألتني ريما: "من تريدين أن أتزوج؟ معظم الشباب الذين حولنا لا يناسبوننا، لأنهم اشتركوا في الحرب ولم يكملوا تعليمهم و ليس بإمكاني الزواج من شاب لا يتمتع بمستوى فكري و ثقافي لائق. أما الباقون الذين كان يمكن أن أتزوج من أحدهم، فقد هاجروا للعمل في الخارج أو لإكمال تعليمهم، وعندما يعود و أحدهم يبحث عمن هي اصغر سناً أو يتزوج حيث هو".

عبرت لمياء عن معاناة متقاطعة و مختلفة، قالت:" سبب بقائي عزباء حتى الآن (أعمار الطالبات يتراوح بين 22 عاماً و 25 عاماً بشكل عام لكن هناك البعض اللواتي يقاربن الثلاثين) ونحن ست بنات في المنزل، هو أن أمي ترى أن على البنت أن تتسلح بالعلم حتى إذا تزوجت و حصل لها مشاكل زوجية أو مادية يكون باستطاعتها إعالة نفسها. أتى العديد من الخطاب و لكنها كانت تقول أننا نكمل تعليمنا لان حالتهم المادية غير جيدة و لأنهم غير متعلمين. أمي عانت كثيراً، قامت بدور الأب و الأم في نفس الوقت، لا تريدنا إن نتعذب في حياتنا. كنا نعرف بعض الأشخاص الذين سافروا إلى الخارج. كان بيننا الإعجاب و التفاهم لكن السفر غير أوضاعهم المادية و بحثوا عن بنات من مستواهم الجديد. يطلبون الآن شقة و لا يهمهم المعاشرة أو الجمال. لكنني لم أتأثر كثيراً، يجب على واحدتنا أن لا ترتبط بأحد، و علينا ان نكون اكثر واقعية في هذه الحياة. السعادة نحن من نبنيها و لا تهبط من فوق و لا يهم إذا كان البيت صغيراً. النجاح يكمن في العمل على الاستمرارية. ليس الحب هو الأساس بل التفاهم".

قررت ندى أيضا أن لا حب بعد الآن، و لو حصل الحب تنقص المقومات الأخرى: البيت و السيارة.. خطبت ندى بالوكالة من ساف أختها المهاجر في كندا، سأل عنها أن كانت غير مرتبطة فهي في خاطره. تمت الخطبة لكن سرعان ما تدخل فرع الأهل الذين هنا و خاصة الأخت التي تركت خطيبها و صارت تهيأ نفسها للسفر إلى كندا و السكن مع عريسي

المستقبل. و صارت تتدخل بحياتها الشخصية: لا تلبسي كذا، لا تأكلي من هذا، لا تذهبي إلى البحر.. فرط المشروع. الخلاصة مـع ذلـك بحسـب ندى:" لا يمشي الحال بدون الغرام لكن الغرام وحده لا يكفي".

علي، الشاب الوحيد في تلك الجلسة، رفض الزواج من ابنـة عمـه الموجودة في تركيا و الذي أراد أبوه تزويجه إياها، رفض لأنه لم يرها و لا يعرفها. علي يقول "لن أتزوج بدون حب أكيد و متبادل، خطبة 6 أشهر لا تكفي قد تظهر على غير ما هي عليه، أنا متحرر نوعاً ما أخـرج مـع الفتيات لكن لا أقيم علاقات جنسية، يجب أن أتعرف جيداً على من سوف أتزوجها".

تعلق الفتيات أنهن لا يردن الخروج مع الشـباب، لان المسـألة تبـدأ بالخروج ثم تنتهي بالغرام. ليس الجميع هكذا، لكن غالبة الكثير من الشباب هو الجنس.

لينا (22 عاماً) تجد أن الوقت مبكر جداً الآن للزواج، لكنها لن تختـار من هو اكبر منها، أو اصغر، بعشر سنوات. أعجبت بكثير من الشبان كما تقول، لكن اكثر شخص تأثرت به منذ سنة و نصـف بسـبب شخصـيته القوية، يقولون لها انه لا يناسبها، لأنه يقوم بعمل يدوي. احتارت لينا فترة طويلة لكنها خطبت إلى ذلك الشاب بعد تردد، و قررت أن تغلّب الحب.

تتساءل ناديا إذا كان على الفتاة الزواج؟ تقول أن الأمر ليس إلزاميـاً لكن من الأفضل لو يحصل ذلك. رفضت بعض الأشخاص لانعدام التفاهم.

سناء المتزوجة (34 عاماً)، تزوجت منذ 15 عاماً، بعد قصة حـب و غرام، رفض الأهل في البداية لأنها صغيرة، لكنهم عادوا و قبلوا. تقـول كان الوقت مختلفاً، لم يكن غنياً بل موظفاً. تقول سناء إنهم الآن يفكـرون بعقلهم أكثر، بينما بنات جيلها لم يكن يقبلن الزواج دون الغرام و علاقـة الحب. لكنها تفكر أنها لو خيرت فلن تعيد الكـرة، لأنهـا تتعـذب الآن و تقضي وقتها في الركض، لأنها أم لثلاثة أولاد و موظفة و تتابع تعليمهـا في نفس الوقت. الآن تفضل أن تختار زوجاً مرتاحاً مادياً و ليس الغرام.

نفس الخلاصة توصلت إليها بعض الطالبات في كلية بيروت الجامعية، ناقشني البعض منهن و استشرنني: هل يتزوجن عن حب ام عـن عقـل. نقلت لي إحداهن حيرتها و آراء زميلات لها توصلن إلى أن الغرام، الذي سوف يخف مع الزمن، لن يكون كافياً لاستمرارية الحياة الزوجية، لذا من الأفضل اختيار شريك يؤمن الراحة و الاستقرار الماديين.

سألت بعض الطالبات في صفوف أخرى، هل تشعر واحـدتهن بأنهـا تأخرت حقاً عن الزواج و هل تخاف بان توصف بالعانس و هـل تقـوم بتضحيات معينة كي لا تبقى عزباء؟ اتصلت بي حديثاً صحافية من اجـل حديث، و حصل حوار بيننا سألتها خلاله إن كانت متزوجة، نفت الأمر و عندما اعتقدت أنها لازالت صغيرة علقت أنها تبلغ الرابعة و الثلاثين مـن العمر و أنها لا تفكر بالزواج بل نسعى إلى تحقيق ذاتها و التفـرغ إلـى الكتابات الفلسفية. لهذه الصحافية أختان واحدة فقط منهما متزوجة.

يتبين لي أن الفتيات لم يعدن يخفن كثيراً من فكرة البقاء دون زواج و لسن على استعداد لتقديم كل التنازلات الممكنة للحصول بأي ثمـن علـى مرتبة زوجة. لكن من الواضح أن العقلانية (بمعنى آخر البراغماتية) هي الغالبة و شعار الحب مع الخبز و الزيتون لم يعد هو السائد. لكـن هنـاك أيضاً متطلبات متعارضة، الحيرة بين الاستقرار و الحب، بـين الراحـة المادية و الغرام؛ و عندما يكون القرار بيد الشخص، كما هو حال علـي، فانه يقرر الزواج عن حب، ربما لأنه اكثر رومنطيقية أيضاً؟

أعتقد أن آثار الحرب التي ترمي بثقلها على شكل أزمة مادية خانقـة هي أحد مسببات الأزمة الأساسية ، لكن هناك تغير في العقلية أيضاً و في الأولويات. يبدو مما سبق أن الزواج ـ الواجب لم يعـد موجـوداً، و أن البحث عن الانسجام، على الأقل الثقافي؛ و الاكتفاء المادي اصـبح أحـد المطالب الأساسية. وصحيح أن الأوضاع المادية المتردية تقف حائلاً أمام الزواج، لكن لم يكن هذا يشكل عائقاً في مجتمعاتنا السـابقة التـي كـان يسودها اقتصاد الكفاف، وكانت الأسرة الجديدة تعيش مع الأهل دون أن يشكل عدم استقلالها بسكن منفرد أي عائق. و لقد ساد في العقـد السـابق محاولات للسكن مع الأهل من قبل الإسـلاميين الملتـزمين، و أعـرف شخصياً عدداً من طالباتي اللواتي تزوجن على هذا الأساس، لكن بـاءت هذه المحاولات بالفشل و انتهت إلى الطلاق بسبب العقلية الجديدة السـائدة التي تتخذ سمات أكثر فردانية و اكثر استقلالية عن قبل. لم يعد ممكناً على الأجيال الجديدة تقبل تدخل البالغين المستمر أو احتمال وجودهم الدائم. لـم يعد ممكناً أيضاً تحمل فكرة إمكانية مشاركة منزل الزوجية مع أحد و لـو لفترة محددة: نموذج ندى و طلاقها قبل أن تتزوج، بسبب موقف الأخـت و الأسرة.

و بينما كان تكوين الأسرة هو أحد أهم أسباب الزواج، يتم البحث الآن عن تحقيق الذات و عن الاستقلالية و إمكانية الاسـتمرار اعتمـاداً علـى النفس، بدليل موقف سناء التي لا تكتفي بكونها أماً و زوجة وموظفة، بـل تريد شيئاً آخر أيضاً، و هو البحث عن ذاتها. كذلك موقف أم لميـاء مـن اعتبار أن الأولوية هي لتعليم بناتها لضمان مستقبلهن، إذ لم يعد المسـتقبل مرتبط فقط بحسن اختيار الزوج، بل بالمهنة و بإمكانيـة الاسـتقلالية. لا ادري دور الحرب في التعجيل في بروز هذه السمات الجديدة، لكن الحرب و الأزمة الاقتصادية تجعل المعادلات مختلفة و تغير مفهـوم الـزواج و تجعل من المرأة كائناً أقوى و اشد عوداً، ربما لاضطرارها الاعتماد على نفسها. من الملاحظ أيضاً ضياع الأوهام حول الزواج: "الحـب الـذي لا يدوم"، أو تطلب الواقعية و أن السعادة تبنى و لا تهبط علينا مـن فـوق، السعادة التي تصبح أحد أهم أولويات الأفراد.

لم يعد الزواج بأي ثمن أولوية مطلقة، فتياتنا يعطين لأنفسهن الوقـت الكافي للتفكير، و يتطلبن شريكاً كفؤاً على الأقل إذ لم يكن مكتفياً مادياً.

يبرز هنا مفهومي العلم و العمل و ضرورتهما المطلقة، لم يعد الزواج هو صمام الأمان، بل العلم و العمل. لذا لم تعد فكرة إيجاد زوج بأي ثمن سائدة أو مثار نقاش، تفضل الفتيات الآن الاعتماد على أنفسهن. يراودهن طبعاً حلم الحب و الزواج عن حب، لكن ذلك لن يعني الجنون أو التضحية بكل شيء من أجله، العقل يبدو في أحسن حالاته الآن!

تعبير "عانس" لم يعد فزاعة لأحد، ولم يعد يطل برأسه مبكراً جداً على كل حال. يتم توطيد النفس على العزوبية و لو لفترة، و لم تعد الفتاة علـى ما يبدو زائراً آنياً سرعان ما يترك الأسرة!

السؤال ما هو الأثر الذي سوف يتركه هذا الوضع على العلاقات داخل الأسرة و بين الجنسين؟ كيف ستتحول بنية الأسرة؟ هل سـوف تـنعكس انحساراً ديموغرافياً؟ أم علاقات خارج الأطر التقليدية؟ أم توترات نفسية؟ أم إنتاجية أعلى؟ أم ماذا؟

ذلك كله خاضع للنقاش.

التهجير وآثاره

من أهم المشاكل التي واجهها لبنان طوال سنوات الاحـتلال مشـكلة التهجير التي تعرضت له قطاعات واسعة بشـكل دوري أو دائـم. طـال التهجير في لبنان فئات متعددة ومتنوعة، ما جعل التهجير "شبه مؤسسـة" ترسخت في الوجدان والمعاش اللبناني. وإذا ما اعتاد المهجـرون علـى أمكنتهم الجديدة فإن عودتهم الآن إلى محيطهم الطبيعـي سـوف يعـاش كتهجير ثانٍ، مع ما لذلك من آثار تتراكم على ما تمت معاناته في رحلـة التهجير الأولى.

يفترض أن الوضع الأسري قبل التهجير يكون في حالة تـوازن لكـن ذلك لا يعني أنها كينونة جامدة، بل هي بنية خاضعة لمتطلبات التغيـرات من داخلها (ولادة طفل، نمو الأطفال، موت أحد الأفراد...) ومن الخارج (تغيرات في النسيج الاجتماعي الاقتصادي). لكن التهجير يعـرض حالـة التوازن هذه للاضطراب، تزيد حدة الاضطراب كلما كان التوازن الأصلي للأسرة أكثر هشاشة أي كلما كانت قد تعرضـت إلـى عوامـل مثيـرة للاضطراب.

يكون للأسرة في وضعية التوازن تنظيماً داخلياً حيث ينتمي كل شخص إلى نظمة معينة (نظمة فرعية تتعلق بالأهل وأخرى تتعلق بالأطفال) وتتوزع الأدوار والمهام والوظائف لكل شخص بهدف الحفاظ على المجموعة، كذلك من اجل نمو كل فرد فيها وتفتحه.

تنتظم الأسرة أيضاً في علاقات متعددة مع أنظمة أخرى، الأسرة الممتدة مثلاً، الجيران، زملاء العمل، التنظيم السياسي الخ؛ ويحصل تبادل معلومات وطاقة مع هذا العالم الخارجي يسمح بالحصول على عناصر مرضية وتدعم هويات الأشخاص بشكل متبادل ويحصل تمثل جماعي يدعم الهوية الاجتماعية المشتركة.

تتأثر مجموعة التبادلات هذه والإنباء الذي تحمله والشبكة التبادلية بين الأشخاص، بالبيئة المحيطة وبالثقافة وبالتنظيم السياسي للمجتمع. وتعتاد الأسرة في هذه الظروف على استراتيجية دفاع ومواجهة للمشاكل التي تتعرض لها. وتكون الأسرة في حالة من التوازن الهش (عكس الجامد) يأتي التهجير الفسري لكي يكسره، أما إذا كانت الأسرة تعاني من اضطراب أصلاً في وظائفها فإن التهجير يكون أقسى وأصعب وأشد أثراً.

يشكل التهجير نوعاً من الانقطاع في عالم الطفل ويجد نفسه في وضعية لا- توازن إيكولوجي، وتجد الأسرة نفسها في وضعية مضطربة تحتاج معها إلى البحث عن توازن جديد.

تعاني الأسرة المهجرة من صعوبات على المستوى المادي، الجوع والنقص في العناية والصحة الجسديين وغياب الحماية. ولا يقتصر الأمر على الناحية المادية بل يطال المستوى النفسي فيسجل: الحزن والاكتئاب والعزلة الاجتماعية ويتأخر نمو الطفل.

هناك تجربة خسارة متعددة وعنيفة، خسارة أشخاص قريبين: عضو من الأسرة، أقارب وقد يعاين الطفل هذا الأمر مباشرة. وقد لا يقدر الطفل في وضعية التهجير على فك الحداد فيظل بعض الأفراد في وضعية حداد مرضي و لا يستطيعون التخلص منه يظهر على شكل اضطرابات في السلوك (سلوك عدواني، عنف، نشاط حركي زائد...)

يتسبب التهجير باضطراب وانقطاع في البنية الأسرية: الأمر الذي يتسبب في إعادة توزيع للأدوار مع التوتر الذي ينتج عنه ما يفرض على الطفل القيام بأعمال تتخطى قدراته وعمره.

وفي حالة إبعاد الأب يصبح الحمل ثقيلاً على الزوجة، كذلك الأمر في حالة اعتقال أحد أفراد الأسرة. وسوف نرى هذا الأثر عبر الحالات الميدانية التي سنعرضها لاحقاً.

أثر الحرب والتهجير في ازدياد ممارسة العنف الجنسي وزنى المحارم

من الملفت حقاً ازدياد تواتر تعرفنا على حالات من العنف الجنسي التي كانت مستترة حتى فترة قريبة. يشيع في بلادنا كلام من نوع أن الأسر الشرقية متماسكة وتمارس علاقات مودة ورحمة وأنها المثال النموذجي المضاد للأسر الغربية المنفلتة والمتفككة والتي تعرف العنف والاضطراب. ما نغفل عنه أن هذا العنف (الغربي) نعرفه ونتعرف عليه لأنه يتم كشفه من قبل الغربيين أنفسهم من أجل منعه والسيطرة عليه، وليس العكس.

لكن الكلام عن التماسك الأسري ظل صحيحاً بشكل عام، بسبب عدم القدرة على إثبات العكس في ظل غياب الدراسات الجدية والدقيقة والتي تشير إلى الأشياء بمسمياتها، حتى بداية الكلام عن عنف جنسي واغتصاب وعلاقات سفاح القربى وزنى المحارم على شاشة تلفزيون Lbc مع حلقات "الشاطر يحكي" (47). ومن هنا الضجة التي أثيرت ضد البرنامج وقيامة رجال الدين ضده واتهامه أنه هو سبب شيوع هذه الحالات، بينما نجد على العكس من ذلك، كان دوره هو السماح للبنات بالتجرؤ على الإفصاح عن معاناة تظل دفينة الصدور لفترة طويلة.

تغير الوضع منذ ذلك الحين، وصارت بعض الفتيات المتعرضات للعنف يتوجهن إلى طلاب في علم النفس، وخاصة طالبات، من أجل طلب المساعدة وصار الحديث عن الموضوع "غير محرم" أو تابو بشكل مطلق. ومن هنا عدة ملاحظات قبل الشروع في عرض حالات محددة وإظهار تشابكها مع الحرب.

لوحظ نوع من المقاومة الشديدة في إظهار الموضوع أو الكلام عنه في الأسر وفي مؤسسات اجتماعية ورعائية تتواجد فيها حالات خاصة وحالات إعاقات أو ما شابه. يظهر الأمر بشكل خاص عند قيام طالب/ـة بإجراء دراسة حالة أثناء العمل الميداني المطلوب في قسم علم النفس، فعندما تعترف الفتاة بتعرضها للعنف الجسدي وتعلم الإدارة أنها عبرت عن ذلك، سرعان ما يتم تغيير الحالة أمام الطالب/ـة وتقديم أعذار واهية عن السبب في تغيير الحالة التي كان يقوم بدراستها.

أما في الممارسة العملية داخل الأسر فإن اكتشاف حالة من هذا النوع وافتضاحها بسبب طلبها المساعدة من الآخرين يجعل اللوم يقع على الضحية نفسها أو على الأم. نقلت لي طالبة عن حالة أرادت أن تتخلص من وضعيتها التي تجد أنها شائنة وتتسبب لها بسوء التكيف، فوصل الأمر إلى شيخ القرية وطلب منه التدخل فما كان منه إلا أن استدعى الأم وألقى اللوم عليها لأنها لم "تنتبه" لابنتها وأنها "مقصرة" تجاه زوجها مما يجعله يبحث عن متعته مع الابنة. أما في حالات أخرى فنلاحظ نوع من التستر على الموضوع كي لا يتسبب بالفضيحة. وأحياناً قد تتم رشوة أحد الأقرباء الذي يهدد بفضح الموضوع. كما أن رجال الدرك يشعرون بالحرج أمام مثل هذه المواضيع غير المعدين لمواجهتها فيتراجعون عن تسجيل الشكوى عند تدخل الأسرة وإسقاط الدعوى أو الوعد بعدم تكرار الأمر. وسوف تتضح هذه الممارسات عبر الحالات التي سوف نعرضها.

أود الإشارة هنا إلى بحث أميرة سنبل التي وجدت أنه تم في وقتنا الراهن وضع الجرائم الجنسية في إطار القانون الجنائي (بدل الأحوال الشخصية) وبدلاً من تطبيق الحدود(القوانين الشرعية وعقوباتها قابلة للتعديل أو التبديل) فضلوا تطبيق القوانين الحديثة التي تتسم بأنها أكثر تساهلا بكثير في التعامل مع المغتصب (48). ووجدت أنه كان أمراً عادياً جداً أن تنظر المحاكم في جرائم مثل الاغتصاب، وكان يتم التعامل معه باعتباره اختلاساً لملكية خاصة، والذي يتم بموجب حق الإنسان في التصرف بجسمه كيفما يشاء.

بعض الحالات الميدانية

حالة لارا، تضافر الحرب والتهجير

قالت أنها لم تع إلا على حوادث عنف في المنزل. صراخ وضرب ومحاولات والدها للانتحار بواسطة تصويب سلاح ناري على نفسه. تنظر بأسى وتقول: أحاول أن أتذكر أشياء مفرحة لا أستطيع. تعبر عن عدم استطاعتها الاستمرار في تحمل وضعها الحالي.

لا تستطيع أن تصف أمها أو تقول ما هو رأيها فيها، أو أن تقول أمي كذا. لا تستطيع. تشعر بثورة داخلية كبيرة، خلعت حجابها منذ فترة وجيزة بعد أن تحجبت منذ كانت في السادسة عشرة. هي الآن في الثلاثينات. أم لثلاثة بنات، الكبيرة في حوالي العاشرة وأصغرهن في الثانية. تعيش مع زوجها الذي قبل بالزواج منها بسبب قبوله بوضعها (كفتاة مارس والدها الجنس معها)، فهو قريبها أيضاً. اختاره والدها لأنه يعمل وينفذ كل ما يقوله له.

مواصفات الأب

طلق الوالد الأم منذ سنوات قليلة، تزوج من سكرتيرته وهاجر إلى الخارج.

يوصف والدها بأنه ينجح في كل ما يقوم به، ويعمله "على كبير". تنقل في أعمال كثيرة، كلها تتعلق بالتجارة. عمل بشكل قريب من الميليشيات، تحميه في تجارته التي تتضمن تهريب السلع أثناء الحرب. الوالد رجل بهي الطلعة، وهي تبدي إعجابها الضمني به، وتشعر بمشاعر متجاذبة

تجاهه، فهي تحبه وتكرهه.

تعبر أنها تشعر الآن بوجود 2 لارا، كل واحدة منهما تتصرف بطريقة مختلفة عن الأخرى. تعصب أحياناً ولا تعود تسيطر على نفسها. تلجأ إلى ضرب الابنة الصغيرة التي لم ترد أن تنجبها. الابنة الكبرى من حصة والدتها، هي التي تعتني بها والثانية من حصة خالتها. أما الصغيرة فهي المسؤولة عنها وتجد أنها تسيء معاملتها.

كان والدها يدللها كثيراً، يعاملها كملكة. عندما تدخل عليه في مكتبه ينهض ويتأهل بها ويقبل يدها، ويترك كل شيء للاعتناء بها. كانت تحب ذلك. كان يشتري لها الذهب، الكثير من الذهب. لكنه كان يأخذه بعد مدة ويبيعه عندما يخسر في تجارته.

لم تستخدم كلمة اغتصاب، قالت إنه: "كان ينام معي كما يفعل مع أمي. المرة الأولى التي فعل فيها ذلك لا أذكرها. طلب مني أن أتهيأ، أحضر لي فوطة صحية وقال لي أن أضعها، كان عمري حوالي الثلاث عشرة سنة، قلت لأمي أنه طلب مني ذلك. لم تقل شيئاً. وضعتها ولا أذكر شيئاً. فقط أفقت في الصباح وأنا مغطاة بالدم. لا أذكر أني تألمت. لا أذكر أول مرتين أو ثلاث، لا أذكر شيئاً. كان يأتي إلى غرفتي في الليل. كنت أنام في البداية مع أخوي الصبيين. لم يكونا يحسان، كانا يظلان نائمين، نومهما ثقيل. أنا أيضاً نومي ثقيل. فزوجي مثلاً هو الذي يعتني ببناتي عندما يفقن في الليل، أنا لا أفيق، ربما لأنني لم أكن أرغب بذلك. كان يتصرف بكل حرية، ينام معي وفي المنزل بحضور الزوار. مرة كان هناك كثيرون في المنزل، دخل إلي في الحمام ومارس معي. أمي لم تكن تحس شيئاً، حتى الآن عندما أقول لها، لا تقول شيئاً، فقط "الله يسامحه". عندما كان عمري في السادسة عشرة، حاولت أن أقول لأسرتي، قلت لخالتي أن والدي ينام معي كما مع امرأته، لم تصدقني. قمت بتسجيل حديثه معي وأسمعتها إياه ولكنها كذبتني. لن أنسى لها ذلك أبداً.

ذات يوم أقنعني أن أنام معه ومع والدتي. قال لي سوف ترين الآن سوف نسر كثيراً، سوف تشعرين بشيء لم تشعري به من قبل. نمت بينهما وعندما بدأ مع أمي سحبته بعيداً وأخذته إلى غرفة أخرى".

التهجير

في ذكرياتها أن انتقالهم إلى بيروت بسبب الحرب، بعمر 11 عاماً هو الذي غير والدها وحول عنفه ضدهم بعد أن كان يقوم به ضد نفسه. صار يضربهم أكثر وبدأ بعدها ممارسة الجنس معها. تقول:"يا ليتنا لم ننتقل إلى بيروت، ربما ما كان حصل ذلك. سكنوا في منطقة قريبة من مخيم فلسطيني. وصار يتصرف بعنف أكبر. كان في قريتهم عنيفاً، لكنها تقول أنه تغير وازداد عنفاً عندما انتقلوا إلى بيروت وعاشوا في الضواحي. صار يحول العنف الذي كان يمارسه ضد نفسه، ضدهم. صار يضربهم ويصرخ دائماً..

تذكر حادثة: مرة عصب عليها كثيراً، كانت في حوالي السادسة عشرة، طلب منها أن تخرج إلى الشرفة، حيث كان يواجههم قناص. كان قد ضربها قبل ذلك على رأسها، ضرب رأسها في الخزانة فجرحت وصارت تنزف وهي لا تعرف ذلك، جاءت والدتها ورأت الدم، قالت دم، دم وبعد ذلك انتبهت إلى أنه دمها، لم تكن تتألم. أخرجها وتركها عشر دقائق على الشرفة. كانت تخاف منه كثيراً. عندها أخذ جاء أشخاص من الخارج وجاءت ممرضة أعطته دواءه المسكن. احتاجت هي إلى 6 أو 7 قطب. ماذا تفعل الأم في هذه الأحوال؟ لا شيء. تقول فقط: الله يسامحه. الأم محجبة ومتدينة وتقوم بكل فرائضها الدينية.

لم تشعر سوى بمساعدة خالها. و أخيها الأصغر منها، كان إخوتها يتفهمون دائماً وضعها.

تعاني الآن من نوبات عصبية وتأخذ أدوية مسكنة.

البحث عن بديل وشبيه بالأب

تذكر أنها في عمر السادسة أو السابعة عشرة، أحبت شاباً في الجامعة، أحبته ومارست معه الجنس كاملاً. كان عليها في وقت أن تختار بين أن تترك الجامعة والشاب، أو أن تبقى معه وتتزوجه. ولكن ظروفه لم تكن تسمح له بالزواج. تركته وعادت إلى مدينتها. والدها الآن في حوالي الخمسين.

أقامت علاقة كاملة مع شخص في حوالي التسع وثلاثين عاماً، استفادت من خدمات قدمها لها. هو صديق لوالدها، وهي تعي أنها تبحث عن شبيه لأبيها، تقول أنه يشبهه وأنها ربما تبحث عن ذلك. تركته لأن زوجته بدأت تشك بوجود علاقة بينهما. تقول متأسفة أنه رضي بذلك، وعندما توقفت أقام علاقة مع فتاة أخرى. كانت اعتقدت أنه يحبها، لكنها اكتشفت أن هذا غير صحيح، إنها كانت مجرد نزوة عنده.

تقول أنها بدأت تحاول الاستفادة من خدمات يعرضها عليها الرجال. ولكنها ليست مقتنعة بذلك.

بعد إنهاء علاقتها به، تفاجأت عندما رأت صديق لوالدها (صديق حقيقي كما أعتقد، تقول، عندما رآني خفت من نظرته. تعرفين من نظرته ماذا يريد! أخافني، وصار يحكي لي:

" منذ كنت صغيرة أتمناك وأريدك، كلما كبرت رغبتك أكثر. طلبت منه وظيفة (تعليم) وأنا غير مقتنعة بذلك، ولكن هذا أفضل من البقاء في البيت. وجد لي الوظيفة وأجريت مقابلة. وطلب مني أن أنتظر.

خلعت الحجاب منذ عدة أشهر، أذكر التاريخ بدقة. يوم عيد الميلاد (ماما محجبة وتلبس عباءة)، أجد أنني تأخرت في خلع الحجاب (تحجبت في عمر السادسة عشرة). إخوتي قالوا لي برافو. ماما لم تصدق وزعلت مني ولا تزال حتى الآن. تعلق على كلامي ولبسي وكل شيء.

هي عندي الآن، منذ حوالي الشهر، كنت أنتبه عندما ألبس من دون كم أن لا تراني، لكن الآن لم تعد تفرق معي. اليوم خرجت أمامها هكذا (من دون كم). عرفت أنني أتيت أتكلم مع الطبيبة أحاديث خاصة، وزوجي عرف. قلت لهم لا دخل لكم. يقولون عني الآن مجنونة، لارا المجنونة.

قمت هذا العام بخطوة جريئة في كانون الثاني (خلع الحجاب).

ماما عندما طلقت وطردت من منزلها، سكنت لمدة عام عند جدي. الآن لا أطيق أن أقعد مع خالاتي في بيت جدي، يقولون طوال الوقت: "لازم تسكتي، لازم تقنعي. توجه لي الأسئلة، تدعي علي. لازم، لازم.. بيت جدي لأبي، خلعي للحجاب كان عندهم عيد. لكني مع ذلك لا أحبهم، وقفوا مع أبي ضد أمي عندما طلقها وتزوج من أخرى. ربما لأنهم يهابون الجرصة ويخافون منه. دائماً كان يثير الخوف. كان ميليشيا مع حركة أمل، قريب منهم. أحب عمي رزق بينهم .

علاقتي الجنسية مع زوجي الآن سيئة، صرت أقرف منه وهذا جديد، أشرب وأدوخ قبل أن يقرب لي. أكثر الأيام أقول له لا تقرب. وصلت إلى مرحلة صار عندي نشفان ولم يعد يستطيع أن يمارس معي. لا رغبة لي بزوجي.

مرة، اتصلت بأخي الأصغر مني، وقلت له أنني لم أعد أستطيع، لم أعد أستطيع أن أسيطر على نفسي، فماذا أفعل؟ قال لي خذي دوش ماء بارد ومارسي الرياضة. عملت ما قاله لي ولم أستطع السيطرة على نفسي. نهارها، ترك كل شيء وجاء إلي في مدينتي وجلست معه على البلكون وصرت أحكي معه وشوي، شوي، فرحت وصرت أضحك. عندما كنت صغيرة كنت أمارس العادة السرية. الآن STOP أوقفت ذلك. يمكن لأن عندي علاقة، مع أنها ليست جدية.

أشعر نفسي وحيدة، أريد من يخاف علي. تبكي بمرارة، ولا تسيطر على انفعالها.

أقول أن كل ما يحصل لي نتيجة ما قام به أبي.

همي الكبير الآن أن لا تتأذى بناتي. أجد أنني أعصب كثيراً عليهن، أضربهن، أفقد الوعي والسيطرة. منذ يومين لم أعد أستطيع.

ماما عندي في البيت، نزلت البحر منذ الصباح. أخذتهم معـي. مـرة طلبت أن يأتي أبوهم لأخذهم، خفت عليهن من نفسي. أحس أنني مع ابنتي كما كان أبي معي. أحس أن ابنتي تحبني أحياناً وأحياناً لا تحبني. الكبيرة تبدو مستوعبة لما يدور حولها. هي تحب أبي كثيراً، تعبده، وتتذكره بشكل غير طبيعي. تتذكر أنها كانت كل شيء عنده. يحضر لها ما تريد قبـل أن تقول. زوجي أعطى الأسماء لبناتي.

زوجة أخي صديقتي. هي أخبرتني أن صديق أبي يشبهه.

الآن أخاف على بناتي. لا أريد أن يحصل لهن ما حصل لي. زوجـي لا يدرك ويمارس معي في نفس الغرفة بوجود البنات، لا تفرق معه. وبما أنني لا أفيق على الأولاد تعودت البنتان على النوم معنا. (متزوجة منذ 12 سنة).

أضرب كثيراً الصغيرة، لأنها مسئوليتي. الكبرى مع أمي، والوسـطى مع زوجة أخي. الصغيرة ربت نفسها بنفسها، أنا مسؤولة عنها. لا أعرف أن أكون أماً. الأمهات يعرفن أي نوع من الطعام يريد أولادهم، أنا لا أريد أن أعرف".

وهكذا نلاحظ تضافر عوامل الحرب والتهجير على حالة لارا وأثـر ذلك على وضعها النفسي وانعكاسه على علاقاتها بالزوج والأطفال. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن مثل هذه الوضعيات قابلة لأن تتكـرر وتعيـد نفسها وهذا ما تؤكده الدراسات حول العنف.

حالة زينب، التهجير والتفكك الأسري

تنتمي زينب إلى أسرة فقيرة تعيش في مدينة من مدن جنـوب لبنـان. تشكو المدرسة الداخلية التي تنتمي إليها من سلوك جنسي غيـر متوافـق عليه اجتماعياً ومن حب البروز ومن عدم الاهتمام بالدراسة كمـا يجـب ومن ردود فعل انفعالية.

وصفت المرشدة الاجتماعية المنزل كما يلي:

يتألف المنزل من مدخل وحديقة صغيرة غير نظيفة أو مرتبة، مليئـة بالأوساخ والتنك وقطع الأخشاب؛ كما أن بعض الغسـيل مرمـي علـى حوافي الحديقة. أما في المدخل فأول ما يسـتقبل الزائـر أوانـي وأدوات المطبخ المرمية على الأرض من دون جلي (كبايات، صـحون طنـاجر قديمة مؤلفة من ألومنيوم لم تعد تحتفظ بشكلها الأصلي. تكدس هذه الأواني يمنع المرور إلى المنزل الذي يبدو عليه الإهمال الشديد.

يتكون المنزل من غرفتين أساسيتين وحمام غير صحي. لا يوجد في المنزل إلا بعض الضروريات من فرش وبطانيات موزعـة علـى أرض الغرفة وثياب مرمية على الأرض لا يمكن تمييز لونها. كل مـا يملكـون موجود على الأرض. تقسم الغرفة الأولى إلى قسمين، طول كـل واحـد حوالي المترين. يوجد في القسم الأول الخالي من الأثاث بعض البطانيـات والفرش القديمة. أما في القسم الثاني فيوجد تلفزيون صغير وبراد قديم جداً ثم طراحة على الأرض.

الغرفة الثانية شبه معزولة وخاصة بالعمل المنزلي مثل الغسل، وينـام فيها رغم هذا أحد الأبناء الذكور رغم أنها ممتلئة بالثياب الوسخة وبعـض الأثاث القديم الذي يبدو مثل قطع أخشاب غير مستعملة.

المنزل غير صحي وهو بحاجة إلى ترميم وإلى شـبابيك مـن أجـل السماح للشمس والهواء بالدخول. يتميز المنـزل لـذلك برطوبـة عاليـة ورائحة كريهة لا يمكن تحملها.

وضع الأم

كان عمر الأم، هدى، 15 عاماً عندما تعرفت على زوجها العائد مـن الأسر في إسرائيل في إحدى الباصات حيث أمضى شهراً في الاعتقال عام 82. "رآني وأعجبته وتكلم معي". وأخبرها أن لديه بيت صغير وسألها أن تتزوجه. وافق أهلها النازحين من فلسطين في العام 1948 والذين يعـانون من الفقر الشديد على زواجها منه. والدها يعمل عامل أجرة يومي في صنع الفحم. تعرف زوجها على أسرتها وتم زواجهما بعد أسبوع واحـد. كان عمر الزوج حوالي 42 عاماً وقد سبق له أن تزوج ثـلاث مـرات. قالت أنها لم تكن تعرف ذلك عنه ولو عرفت لما تزوجته!

كان يعمل ببيع الترمس على عربة صغيرة. الآن عاطل عـن العمـل مدمن على شرب الكحول، يضرب أولاده وزوجتـه ويسـيء معـاملتهم. يحضر رفاقه إلى المنزل ليسكر معهم.

عمرها الآن 38 عاماً مع خمسة أولاد، توفيت ابنتهـا الأولـى عنـد ولادتها مباشرة بسبب التفاف حبل السرة على عنقها. هي أميـة لا تعمـل وكثيرة التدخين. تعاني من آلام في الرأس ووجع في المعدة وفي الظهـر. انفعالية جداً - تتعرض للضرب ولإساءة المعاملة فتهرب من المنزل لعدة أيام أحياناً. تعاني بسبب مشاكلها مع الأولاد وتشكو من عدم احترامهم لها أو الاستماع إليها. تشكو من زوجها الموجود في المنـزل طـوال اليـوم فيتدخل في جميع الأمور ويشك في سلوكها الأخلاقـي ويضـرب الأولاد عندما لا يحصل على المشروب الذي يحتاجه. يضربهم بشـكل عشـوائي ومن دون تمييز بواسطة أي شيء يمر تحت يده (سكين، قنديل..). ما يدفع الأولاد إلى الهرب من المنزل والتسكع في الشوارع وقضاء فترات طويلة خارج المنزل قد تبلغ ثلاثة أيام. وهم يتعرضون لمواجهـة مشـاكل مـع المحيط ما يدفع الجيران إلى الاتصال بالدرك.

وضع الابنة

زينب هي الابنة البكر بين إخوتها. تبدو قلقة وتشكو من المشاكل التي تعانيها مع أهلها، ولا سيما مع الأب الذي يفرط في الشراب ويلجـأ إلـى تأنيبها هي وإخوتها وإلى ضربهم بشكل عشـوائي حتـى أثنـاء نـومهم. تعرضت إلى الكثير من الاعتداءات، وخاصة الجنسية منها ومنذ صـغرها حيث كان والدها يرسل بعض الرجال لإقامة علاقة جنسية معهـا مقابـل حصوله على الشراب أو بعض المال. وكنت دائماً أرفض تقول. لكن من الواضح أن رفضها لم يكن يغير من الأمور.

أدى ذلك إلى تعرضها إلى عدة تجارب مع شباب تقيم علاقـة معهـم وتعتقد أنها تحب الشخص وسوف تتزوجه، جاء أحدهم وطلبها من والدها الذي لم يحرك ساكناً، لكن والدة الشاب رفضت زواجهما رفضـاً قاطعـاً عندما علمت وجاءت إلى منزل الأسرة مهددة متوعـدة. أدى ذلـك إلـى استغلال زينب عدة مرات ومرورها بتجارب تركت عليهـا أثـراً سـيئاً وجعلها تتأخر في مدرستها (17 عاماً في صف البروفيه). إن دفاع زينب عن نفسها تجاه اتهام رفيقاتها بأنها تنام مع الشباب تبرره لنفسها باعتقادها أنها تقيم علاقات حب مع الشاب الذي تخرج معه إلى أن يتخلـى عنهـا وتمر بأزمة عندما تجد أنها تعرضت للاستغلال. وهي تخرج مع شباب لا تحبهم، ولكنه الشيطان كما تقول. والدتها تقول عنها "إنها تتعـرف علـى واحد وتترك واحد" وأنها تتعرف على أربعة شبان مع بعضـهم الـبعض، تقول لأمها: كلهم يحبوني يا أمي".

زينب غير متأقلمة في المدرسة وتتعرض للنقد مـن رفيقاتهـا علـى سلوكها مع الشباب. كما عبرت عن خوفها من أن تطرد مـن المدرسـة، الأمر الذي حصل لاحقاً. وحكايتها مع المدرسة كانت في طريقهـا إلـى الحل، انتظمت دراستها نوعاً ما وخططت في أن تتوجه لدراسة التمريض في معهد فني عندما تنال الشهادة (خلال حوالي الثلاثة أشهر)، لكن هربها مع شاب وبقائها معه طوال الليل خارج مدرستها عرضها للطرد وفقـدان مستقبلها الدراسي وإمكانية خروجها من الظروف التي تعيش فيها.

وتشكو من شعورها الدائم بالوحدة. تبكي كثيراً فـي الليـل وتشـعر بالخوف. حاولت الانتحار عدة مرات، مرة عندما رفـض زواجهـا مـن صديقها. ومرة ثانية شربت حبوباً تقول أنها بقيت على أثرها لمدة شـهر غائبة عن الوعي. ولكن إيمانها منعها في النهاية من تنفيذ هذا الأمر، فلقد اعتبرت أن الموت لا يريحها هو أيضاً.

تنتمي الأسرة إلى محيط متدين، يعمل الأخ من زوجة أولى للأب في

عمل محترم ويبدأ بالاهتمام بأسرة والده وإخوته ويشعر بنفسه غارقاً في مشاكلهم وغير قادر وحده على مواجهة أسرة متفككة من 7 أفراد لكل واحد فيهم كمية من المشاكل مع الذات ومع المحيط ومع البوليس يصعب حلها من دون مؤازرة متخصصة ورعائية.

الإبنة الصغرى

عمر ضياء 13 عاماً، تواجه الكثير من المشاكل داخل المنزل وخارجه. تجد أن أصعب مشاكلها مع والدها الذي لا يحترم آراءها ولا يقدرها هي وإخوتها ولا يستعمل سوى أسلوب الضرب المبرح والطرد، ولا يبالي في أي وقت يعود و أحدهم حتى ولو عادت مع الفجر أو أن تمكث خارج المنزل. تهرب من المنزل بسبب المشاكل وعندما تعود إليه تجد أن النزاع لا يزال قائماً. يدفعها كل ذلك إلى الهرب والنوم خارج المنزل أو العودة في السر وفي وقت متأخر (الواحدة صباحاً مثلاً) إلى المنزل، أو عند الفجر.

ما يولد البؤس في داخلها وترى نفسها معقدة من خلال كلام والدها الجارح والمستمر. أكثر ما أثر فيها ضرب أخوها الكبير لها (من زوجة أولى للأب) ضرباً مبرحاً عندما علم أنها تخرج مع شباب وتعود مع الفجر (لسع بالنار وقشاط وعصا..) فهي كانت قد ذهبت إلى شاب كانت تعرفه وبقيت معه حتى ساعة متأخرة في الليل. تقول أنها تعرض لمحاولات اعتداء: عبطني نسيم وحاول تقبيلي..).

تعاني من الشعور بعدم الاستقرار والاضطراب النفسي وما يزيد من بؤسها عدم تقدير الجيران لهم ومنادلتهم "بأولاد الجوعان" ومعاملتها من قبلهم بقلة احترام ويتصرف ابن الجيران معها بشكل غير لائق ويسمعها كلام "غير جيد" كما تقول.

تفضل ضياء الصداقة مع الجنس الآخر، وتحب أن تكون مع صديق واحد فقط. ولكنها تحب أن يكون لها صديقين (بمعنى رفيقين). تحب التسلية مع من يفهمها ويوعيها ويوجهها. تواجه مشاكل في المدرسة مع رفيقاتها ومع المشرفات أيضاً. تقول أنهم يتداولون الكلام عنها ويتهمونها بأشياء غير صحيحة أحياناً.

تقول أنها تحب المدرسة ولا تكرهها وتحب الاهتمام بدروسها لكنها لا تريد ذلك. تحب الخروج ليلاً خارج البيت "حتى يهدأ بالي". تعاني ضياء من تبول ليلي لا إرادي.

تشعر بالقلق دائماً وتنام بشكل سيئ وترى أحلاماً مزعجة خاصة عندما تكون مضطربة.

من الملاحظ هنا أن ظروف الحرب الأهلية والاحتلال الإسرائيلي كانا عاملين مساعدين في تردي الظروف الاقتصادية وفي إضعاف عوامل الرقابة الاجتماعية والمساندة من المحيط مما أثر ضاغف أثر الظروف الخاصة للأسرة، فليس للفقر أن يولد العنف أو أن يؤدي "لي الدعارة المقنعة.

حالة ألفت، عودة الأب المهاجر

تقول ألفت ذات السادسة عشرة: "نام معي أبي منذ سنتين. تحرش بي أول مرة في غرفة الكلب، عندما كنا نسكن في بستان. هددني بالضرب عندها".

عاد الأب من هجرته منذ سبع أو ثماني سنوات. هاجر بسبب الحرب وترك الأسرة عندما كانت الأم حاملاً بأصغر أبنائها وكان عمر ألفت 3 سنوات. سافر في البداية إلى ألمانيا وتزوج بامرأة سعودية، ثم هاجر إلى بلاد عربي آخر وتزوج منه امرأة أحضرها معه، ولديه منها ابن وابنة.

عندما بدأ بالتحرش بألفت كان عمرها عشر سنين، أي قبل قدوم العادة الشهرية.

تعاني الأم من وضع صحي سيئ، تعاني من نوبات عصبية تصيبها وهي تكنس مثلاً فتغيب عن الوعي وعندما تصحو تسأل: ماذا حصل؟ تغيرت نوباتها بعد عودة الأب وازدادت حدة وصارت تدوخ وتفك أزرارها وتستمر النوبة وقتاً أطول وتتسبب بوقوعها على الأرض وتستفرغ وتبول على نفسها. حاولت مرة أن تقتل نفسها.

عندما هجر الأب أسرته سكنت الأم مع أولادها في بيت استأجرته قرب بيت الجد، وعانت من صعوبات مالية. عندما عاد الأب لم تسأله في البداية شيئاً عن زواجه، أحضر الزوجة والأولاد. وعندما سألته عن زواجه طالب بأخذ الأولاد، لكن الأخت الكبرى هربت لأنه لم يكن مسؤولاً عن معيشتهم حتى مجيئه. أرجعها وأجبرها في العيش مع أختها الأصغر عند زوجته الجديدة. وصارت الأم تراهم خفية عنه بالتواطؤ مع الزوجة الجديدة. ثم قبلت العيش معه في النهاية، وهم يسكنون في قرية جنوبية مع بعضهم البعض، وهناك تواطؤ بين الزوجتين وإدانة لأعمال الزوج لكنهما لا تشعران بالعجز ولا تستطيعان شيئاً.

عندما أخبرت ألفت أمها أول مرة بمحاولات أبيها معها وبلمسه لصدرها، تقاتلت معه وتشاجرا وكاد أن يدخل السجن بسبب ذلك. كان ذلك بعد محاولته النوم معها في قن الدجاج ورأتهما الأخت الصغرى (من الزوجة الجديدة). ذهبت ألفت إلى أمها وأخبرتها : "بابا طلّع شي لونه أبيض"، قالت لها أين؟ وتوترت ولم تعرف ماذا تفعل. هربت بها الأم في هذه الفترة إلى بيت جدها في بيروت وأخبرتهم بما يقوم به. أحضروا الدرك وحققوا في الموضوع وهددوها أن تقول الحقيقة وصدقوها عندما أخبرتهم عن الشيء الأبيض الذي يخرج منه. زوج خالتها هو الذي اتصل بالدرك الذين أرادوا أخذه، لكن أختي الكبرى رجتهم أن يتركوه وأنه سوف يتحسن. تركوه، لكنه عندما حاول معها في المرة الثانية لم يقبل زوج الخالة أن يتدخل.

عندما تحرر الجنوب أخذ البنت الوسطى إلى المنطقة المحررة، وكان عمرها 15 عاماً، اشترى لها قنينة بيبسي، قعدت شربتها فداخت ووقعت، حسب ما سمعت (فالكلام الصريح ممنوع في الأسرة) ووجدوا أن الغشاء مفتوح (فقدت بكارتها). سألته لم فعل ذلك بها؟ وهربت وصار يسبها. نحن صدقناها لأنه كان قد مصها من رقبتها. هددها وقال لها "سوف أخفي خبرك". عندما جاءت أختي وحكت لنا، جاء زوج خالتي لكنه دفع له 100 دولار فسكت. (تحكي ألفت فيما تغص بالبكاء). حينها عرفوا أنه لم يقربني، ففي تلك السنة لم يتحرش بي. وهدده زوج خالتي أن أي تصرف من هذا النوع سوف يتسبب بسجنه.

الآن تزوجت الفتاة الوسطى التي اغتصبها من رجل سوري عمره 64 عاماً هرباً من والدها. لكنها نادمة الآن ولا تستطيع أن تفعل شيئاً فهي حامل، صار عمرها الآن 17 عاماً (فهو متزوج من ثلاث نساء ولديه 17 ولداً وهو هارب من سوريا). وهي كانت تحب شاباً هربت معه قبل زواجها ولكن أهله رفضوا أن يزوجوها له.

الأخت الكبرى التي تحرش بها أيضاً تزوجت من رجل يعمل في تنظيم حزبي وتتهمه الأم انه يتاجر بعرض ابنتها. تلاسنت الإثنتان وتسابتا في المدرسة عند مواجهتنا وعندما كانت تحاول الإبنة الكبرى أخذ أختها الصغيرة معها. حصلت مشكلة الأم تتهم البنت الكبرى المتزوجة أنها تريد أخذ أختها وتشغيلها والإبنة تتهم أمها أنها تتغاضى عن أعمال زوجها وتتركه يعتدي على ألفت.

تنكر الأم عند مقابلتها مع ابنتها ما أخبرته هذه الأخيرة، وتجادلها لماذا تقولي ذلك؟ وتقول لها أنها سوف تجننها. تعتقد بذلك أنها تخفي الجريمة و أثرها المدمر على الأسرة وعلى سمعتها أمام الناس والمدرسات.

تتحرج ألفت من إخبار الأشياء بوضوح، لكنها تشير إلى عوارضها، فتقول: "أعاني من التهابات في الخاف وصدري بيؤلمني". تخبر كيف يتحرش بها أمام أختها الأصغر ويقبلها ويدفشها إلى الزاوية وعندما تأتي الأم يصرخ على ألفت ويبهدلها.

في بداية العام الحالي أتى إلى المدرسة وطلب إخراجها، يأخذها إلى الأسواق بحجة شراء شيء. عندما أحست أول مرة أن شيئاً سيحصل، أخذها إلى جبل بعد التحرير. تخبر أيضاً: " يأخذني أحياناً إلى السينما

ويعمل معي حركات بإصبعه. أحس أنني تغيرت، يقول لي: هيجي. أتنفس بسرعة ويبقى مستمراً... يحكي نكات سيئة وهو يضحك.

يبدو أنها صارت تشعر بالمتعة وهي لا تستطيع التعبير عن ذلك بوضوح، فتقول: "يقول لي أنه يعرف من حركاتي المقرفة ما أريد، وأنا أحس نفسي أتغير، أتعب ولا أقدر أن أتنفس، أقول له أنني متضايقة. وأحسست بأشياء كثيرة". تطلب ألفت النجدة من المحيط، تطلب إبعادها عن هذا الوالد لأنها صارت تشعر بالضعف أمامه، ولكن عمل ذلك يتطلب فضيحة وتحقيق وبوليس ومحامي، فمن سوف يقوم بذلك كله؟

تخبر عن حبها لشاب من جيرانها وكيف أنه أراد الزواج منها، "لكن أمه منعته بالقوة، لا أدري ماذا تعرف عن أبي تقول، ومنعت الزواج وقالت لأختها الكبرى: لو أن أختك أشرف الشرفاء لا أريد أن أزوجها لإبني".

الآثار الجانبية للتعرض للاعتقال (49)

من أهم الآثار الجانبية للاعتقال الذي تعرض له الآلاف من السكان في الجنوب، الاضطراب أو الشرخ في البنية الأسرية خاصة عند الأسير المتزوج، وحتى عند المتعامل حيث وضع الأطفال أكثر تعقيداً وصعوبة؛ فالاعتقال يتسبب بإعادة توزيع عنيف وإلزامي داخل الأسرة مع ما يترتب عن ذلك من توترات وإعادة لتوزيع المهام، خاصة بالنسبة لنمط من العيش التقليدي والريفي كما هو الحال بالنسبة للجنوب. بما ينعكس على دور الزوجة، إذ تتعرف عندها على وجه جديد ما يتسبب بحصول سيرورة من تقييم الذات تكون معاكسة تماماً لما حصل للزوج في المعتقل. كذلك الأمر مع الأطفال (ابن العشر سنوات مثلاً) الذي يعتاد غياب الأب ويتحمل باكراً بعض المهام الوالدية لمواجهة الوضع المستجد وهو يكبر بمقدار ما يتحمل من مهام تجاه الأطفال الأصغر منه سناً. لكن ذلك كله لا يمنع عنه الألم ولا يحميه من القلق والخوف ومشاعر التهميش.

يحدث الاعتقال انقطاعاً آخر أو يدعم انقطاعاً سابقاً على مستوى التاريخ الشخصي والجماعي للأسير والذي بدأ مع القمع؛ فوضعية الاعتقال ومستوى القدرة على احتمالها أو عدمه على علاقة تفاعل جدلي بين شخصية الضحية وتاريخها وردودها النفسية تجاه الحدث الهلعي.

يحصل عند كل سجين معتقل عملية حداد نفسي لكل فرد ممن يكون على علاقة معهم: زوجة، أهل، أقارب، رفاق استشهدوا. وذلك كله يحمل خطر فقدان الانتماء الاجتماعي والمؤسسي.

عند تحرير الأسير لا يمكن أن تعود الأشياء إلى سابق عهدها تماماً، فقد ترفض الزوجة استعادة دورها السابق ويمكن أن تبرز نزاعات حول توزيع الأدوار بين الزوجين.

كذلك الأمر بالنسبة للطفل الذي لا يمكن أن ينسى معاناته خلال فترة غياب الأب وقد يشعر الأولاد بالابتعاد عن الأب الذين كبروا وعانوا بعيداً عنه. لذا قد يرفض هؤلاء الأطفال أن يكونوا أطفالاً أو قد يرفضوا أن يكبروا أو أن يتصرفوا كمن هم أصغر سناً.

هذا عدا عن إمكانية فقدان التأهيل المهني أو الحرفي والمشاكل الصحية المزمنة التي قد تترتب عن التعذيب.

نتائج على أطفال المعتقلين

ولقد تبين من فحص أبناء الناجين من التعذيب أنهم يوسمون بعلامة أو أكثر ذات دلالة على إصابتهم باختلال نفسي. كما لوحظ أن القلق كان سمة عامة وقد عانى أكثر الأطفال من القلق المرتبط بأشياء واقعية مثل الظلام والحرب والقنابل والأسلحة والطائرات والماء والارتفاع، في حين اشتكى آخرون من الصداع والمغص ووجع الأطراف والاضطراب في النوم، كما سجل الاكتئاب والنكوص. كما يجد هؤلاء الأطفال صعوبة في التركيز في دراستهم.

فعندما يتعرض الأولياء للصدمة والتعذيب يكون هذا مصدر تهديد جدي لنمو شخصية هؤلاء الأطفال ورفاهيتهم. هذا عدا عن أن الأطفال أنفسهم عرضة للتعذيب ولأنواع عنف أخرى. وتبن التجربة تزايد حالات تعذيب الأطفال.

حالة منى

عمر منى إحدى عشر عاماً ونصف، لا تزال في المرحلة الابتدائية. يتيمة الأب، وأمها متزوجة من رجل آخر. تعيش في إسرائيل ومتهمة بقتل زوجها. رفضت أسرة الأب أن يكون لها أي علاقة بالأولاد الأربعة، أي منى وإخوتها الثلاثة الأكبر منها. تطالب برؤية والدتها والتعرف عليها، تشعر أنها تتعرض لظلم شديد بسبب حرمانها من رؤية والدتها. لا تحتمل أسرة الأب أي علاقة للوالدة بأولادها بما أنها متهمة بقتل الأب.

كان عمرها عند وفاة والدها بضعة أشهر. ربتها جدتها هي وإخوتها. تعاني الأسرة المكونة من أربعة أخوة (أكبرهم في السابعة أو الثامنة عشرة ويعمل) من قسوة الجدة والأعمام، ومن تعرضهم للضرب. ولقد ارتأى الجميع إسكانهم بمفردهم في منزل والديهم القريب من منزل العم والجدة. ربما تكون القسوة بسبب تحميل الأولاد وزر جريمة والدتهم ولو بشكل غير واعي.

وضعها المدرسي وسط بالرغم من تمتعها بذكاء شديد.

تم تحويلها إلى المرشدة من قبل المربية والمعلمة بسبب: العدوانية، العناد، الأنانية، حب الذات وعدم احترام الآخرين واستخدام الألفاظ البذيئة. تكذب أحياناً وتحب السيطرة، لها شخصية قيادية. انفعالية وسريعة الغضب.

تشرد خلال الشرح وتتذمر. علاقاتها غير جيدة مع محيطها.

خلاصة وتوصيات

تشكل هذه الحالات التي تم عرضها بعض النماذج المتكاثرة في مجتمعنا (50) والتي يتم ممارسة أشد الحرص على "تخبئتها" وعدم الإعلان عنها. وإذا كان فرويد نفسه قد حور في نظرية الإغواء وقلبها إلى مركب أوديب بسبب الحرص على قدسية العائلة فهل سوف نكون أفضل حالاً في بلادنا من فرويد؟ وخاصة في ظل الأوضاع التي نعاني منها من تراجع ثقة المواطن العربي بنفسه وبقدراته وبمستقبله. فهل يمكن أن يحتمل هذا المواطن الفكرة الإضافية التي تقول أن مثل هذه الممارسات متفشية في مجتمعاتنا وأن صورتنا عن أنفسنا زائفة وتحتاج إلى الصدق والشجاعة كي يتم الكشف عنها؟ وليس فقط بسبب الرغبة المبتذلة في عرض الفضائح الجنسية المتفشية، لكن العكس من أجل إيجاد الحلول المناسبة لبعض المشاكل المعيقة لتطور أوضاع المرأة العربية ومن أجل مساعدة الأجيال القادمة من العيش في جو صحي ومتوازن.

لذا من المناسب اقتراح ما يلي:

- العمل على إجراء دراسات ميدانية معمقة من أجل الكشف عن المشاكل التي تعاني منها الأسرة من دون الوقوع في مطب الازدواجية في القيم والمعايير التي نعاني منها.
- العمل على إيجاد مقعد دراسي مجاني لكل طفل وطفلة.
- العمل على تطوير البرامج الدراسية والاعتناء خاصة بكتب القراءة والمدنيات والاهتمام بنوعية القيم التي تبثها والتركيز على حقوق الإنسان والطفل.
- إدخال مادة التربية الجنسية بشكل إلزامي من أجل توعية الطفل والطفلة على حقهم في احترام جسمهم وفي الحفاظ عليه كملكية خاصة ثمينة.
- العمل على إيجاد مراكز مهمتها توعية وإرشاد الزوجين على أدوارهما الزوجية وعلى ترشيد الوالدين فيما يتعلق بمهامهما الوالدية.
- إيجاد مراكز متخصصة لتلقي شكاوى النساء والفتيات من أجل حمايتهن من التعرض للممارسات البوليسية المجحفة عند التقدم بشكاويهن.

- التجرؤ على إنزال عقوبات قانونية تتناسب مع الجـرم الجنسـي المقترف بحق النساء من محارمهن من أجل حمايتهن من ممارسـات الاغتصاب والاعتداءات الجنسـية مـن قبـل هـؤلاء المحـارم. إن الاعتراف بالظلم الواقع على الضحية والاعتذار العلني منهـا (عبـر معاقبة الجاني) هو وحده الكفيل بمساعدتها على تخطي مشكلتها.

المراجـــع

1. Ph, Ariés: L'enfant et la vie familiale sous l'ancien régime, Seuil, Paris, 1973. - Ph, Ariés et G, Duby (sous direction): Histoire de la vie privé, Seuil, Paris, 1985-1987, 5 Tomes..

2. Histoire de la vie privee: op. cite. Tome I, P23, 28.

3. جيفري ماسون: "فرويد ونظرية الإغواء"، مجلة القاهرة، العدد 161، جمهورية مصر العربية، ص 62-78.

4. E, Babinter: L'amour en plus, Flammarion, 1980.

5. A, Farge:"Familles. L'honneur et le secret", In, Histoire de la vie priveé, Op. Cite. Tome 3, p581-583..

6. E, Roudinesco: La famille en désordre, Fayard, Paris, 2002. pp7-25.

7. لكـن رودينسـكو تغفـل فـي هـذه الطريقـة بحـث كلاريـس هيرينشميدت (الذي أشار إليه كريستيان جامبيه في :مجلة العالمين" عـدد أيـار 2001) عـن شـيوع العلاقات الجنسـية والزيجات بـين الوالـدين والأولاد وبين الأخوات واعتباره الأكثر أخلاقية ويتم مع طقوس معينة في إيـران القديمـة وبحسـب الديانـة المزدكيـة ، وكـذلك مـن المعـروف أن الفراعنة كانوا يتزوجون من بناتهم وأخواتهم.

8. D, Mehl: "Les famille recomposées", In Revue des deux mondes, *Péres et mères, Mai 2001.PP 9-15.*

9. إن اسـتخدام تعبيـر symptôme للدلالـة علـى الطابع غيـر السـوي لعدم استيعاب المسـتجدات الحاصلة علـى مسـتوى تشـكيلات الأسـرة حالياً.

10. يناقش الكاتب مسألة التسمية وعن تعبيرها علـى اسـتيعاب اللغة للعلاقات الجديدة التي "في الواقع قبل أن تتغير في الرأس"، ففـي حـين هنـاك تسـمية خاصـة لـزوج الأم وزوجـة الأب فـي اللغـة الانجليزيـة "stepfather, stepmother" للأسـر المعاد تكوينها تختلفـة عـن تسـمية "father ou mother in law" بينما هذه التسميات غائبـة عـن الفرنسـية. هذا بينما نلاحظ وجودها في اللغة العربية مـا يعنـي تنـوع أنـواع الأسـر وعلاقات القربى في العالم العربي بسبب تعدد الزيجات وشـيوع الطـلاق في ممارسات تكوين الأسر في حقبة بدايات الإسلام.

11. F, Héritier: *Figures du pére,* Revue des deux mondes, op, cite, pp16-19.

12. في وطني أبحث، بقلم مجموعة من الباحثات، تحرير كأميليا الصلح وثريا التركي، ترجمة ونشر مركز دراسات الوحـدة العربيـة، 1993، بيـروت، ص 63.

13. النساء والأسرة وقوانين الطـلاق ،مجموعـة مـن المـؤلفين، تحريـر أ، سنبل،المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1999، المقدمة، ص 13.

14. من المفيد هنـا مراجعـة كتـاب ليلـى أحمـد: المـرأة والجنوسـة فـي الإسلام، المجلس الأعلى لثقافة، القاهرة، 1999.

15. نفـس المرجـع، ص 16. وانظـر كتـاب تيليـون الصـادر تحـت عنـوان "*الحريم وأبناء العم*"، عن دار الساقي، بيروت، 2000

16. نفس المرجع، "المرأة والمواطنة في القرآن"، ص 33-47.

17. نفس المرجع، ص 22.

18. انظر نفس المرجع صفحات: 289-302.

19. النساء والأسرة وقوانين الطلاق، نفس المرجع، ص 275.

20. أنظر الفصل المتعلق بالموضوع فـي كتـابي: الطفـل المتخلـف عقليـاً في المحيط الأسري والثقافي، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1983.

21. Foucault, M: *Histoire de la folie à l'âge classique*, Gallimard, Paris, 1972. - Misés, R: *L'enfant déficient mental*, Puf, Paris, 1975. - Weulerse, J: *Paysans de Syrie et de Proche –Orient*, Gallimard, Paris, 1946. - Ariés, Ph: *L'enfant et la vie familiale sous l'ancien régime*, Seuil, Paris, 1973. - Shorter, E: *Naissace de la famille moderne*, Seuil, Paris, 1977.

22. - لم تكن والدت تغطي وجهها(وهو التقدم الذي حصل على أيامها)، ولكنها كانت تضع ما يطلقون عليه اسم "الفيشة" وهي عبارة عـن غطـاء من قماش أسود رقيق وشفاف.

23. - هل يمكن أن نغتر على شبيه "سي السـيد"، بطـل ثلاثيـة نجيـب محفـوظ بعـد الآن؟ ألا تشـير نـوع التقاشـات العاصـفة التـي أثيـرت تجـاه مسلسل الحاج متولي، وآراء النساء الغاضبة، إلى نوع التفكير الذي أصاب النساء العربيات المعاصرات؟ أنظر قراءتـي للمسلسـل فـي ملحـق نوافـذ التـي تصـدره جريـدة المسـتقبل البيروتيـة، أحـد أعـداد ديسـمبر الماضي، حيث كتبت ما يلي: المسلسل أولاً مسـاحة للحلـم وللتسـلية الرمضانية، فهل أضرت أسطورة ساندريللا بأحد؟ وهل منعت زواج الفتيـات بفتيان التقين بهم في محيطهن بالرغم من حلمهن بالأمير الفارس الـذي على حصانه الأبـيض! ثـم هـي أيضـاً التعبيـر عـن تحـول فـي المجتمعـات العربيـة، وربمـا أكـون متفائلـة بمـا لا يوافـق عليـه الكثيـرين، لكـن تعـدد الزوجات في طريقه إلى الزوال، أو الندرة، والتحول إلـى فولكلـور يمارسـه من يستطيع ذلك أليه سـبيلا. لكـن مـن سـوف يسـتطيع ذلـك بعـد الآن؟ وبأي شروط؟ ألا نرى النساء من حولنا؟ ألا يتطلب تعدد الزوجات قبـولهن هن أنفسهن بذلك؟ وهل تبدو نساء الحاج متولي نماذج شـائعة أو قابلـة للتحقيق؟ ثم كم "حاج متـولي" سـوف ينـتج مـن الآن فصاعداً فـي مثـل هذه المجتمعات التـي تعـاني مـن ضـائقات لـيس الانكمـاش الاقتصـادي أقلها أهمية؟

24. حدثني ابني عن حلقة في برنـامج S-L-SHI تـتهكم علـى العلاقـة بين الشابات والشبان وعن لعب الأخيرات دور الشبان، فـي العمـل وفـي التلطـيش وفـي المغازلـة والتشـبيح، بسـبب هجـرة الشـبان المكثفـة وبسـبب التغيـر الحاصـل علـى مسـتوى شخصـية المـرأة ودورهـا فـي المجتمع. لكنه لا يثير سوى الضحك لأن رؤيتـه مبالغـة وتبتعـد عـن الواقـع الموجود الآن. وبالتالي هـي أبعـد مـن أن تثير الخـوف أو الجـدل، فتصـبح مجرد تنكيت وبرنامج لإثارة الضحك.ثم هناك علـى مـا سـمعت مسلسـل "النساء قادمات" وفيه نقد للمرأة المصرية المعاصرة؟فهل يمكن الظـن أن الرجل العربي التقليدي و"الذكوري"

25. بدأ يشعر بالخطر يتهـدد مكانتـه ومـدى سـيطرته علـى الأمـور فبـدأ بالهجوم المعاكس؟ ولكن هل هي الصحوة الأخيرة بـا تـرى قبـل أن يتغير العالم بشكل لا عودة عنه؟ أعتقد أنها الصيحة التي تسبق النزاع الأخير، فلنخفف من قلقنا ومن حماسنا. ربما هو مسلسـل الـوداع لأمثـال الحـاج متولي ونساءه!

لكن كون 20% من الأسر في لبنان تعولها امرأة (بحسـب إحصـاءات وزارة الشؤون عبر المسح الذي أجرتـه عـام 1996)، بمفردهـا هـو مؤشـر هـام على التغير الحاصل في مجتمعنا.

26. أنظر مراجعتي لكتاب جيل بيرو "صـديقنا الملـك"، فـي النهـار عـدد 03/6/1

27. منى فياض:*السجن مجتمع برّي*، دار النهار، بيروت، 1999.

28. أنظر كتاب: السجن مجتمع بري، سبق ذكره.

29. ففـي نتـائج المسـح الـديموجرافي اليمنـي الـدورة الأولـى (1992/91م)، بلغ وسيط العمـر عنـد الـزواج الأول للفتـاة 16 سـنة، الأمـر الذي يعني أن نصف النساء في الشـريحة العمريـه 20-49 سـنة يتـزوجن في عمر 16 سنة على الأقل.

30. بحسب التقرير البحريني.

31. في أوج حركة التحرر والعلمانية في لبنان كان يصعب علـى العـازب استئجار شقة في وسط سكني للعائلات "المحترمة". وحتى الآن هنـاك أماكن معينة يمكن فيها للعزاب وخاصـة العازبـات، السـكن بسـهولة ومـن دون إثارة شبهة المحيط.

32. المسح التونسي لصحة الأسرة، التقرير الرئيسـي، سـبتمبر 2002، ص67.

33. *L'enfant et la vie familiale sous l'ancien régime*. Seuil. 1973. أنظـر - Shorter, E: *Naissance de la famille moderne*. Seuil. 1977. أيضاً الفصل عن الأسرة في كتابي:*الطفـل المتخلـف عقليـاً فـي المحـيط الأسـري والثقافي*، معهد افنماء العربي، بيروت، لبنان، 1983.

34. تم استطلاع رأي المراهقات والمراهقين في مسائل الزواج وطرقه، وقـد أشـارت معظـم المراهقـات فـي العينـة أن الاختيـار للـزواج (للفتـاة بالتحديد) لا يزال يتم بالطريقة التقليدية وعبر الأهل مع أخـذ رأي البنـت، بينمـا ذكـرت عينـة صـنعاء (وهـي عينـة حضـرية) أن مجـالات العمـل والدراسة، والزيارات توفر متسعاً للاختيار بـين الأبنـاء والبنـات. ومـع ذلـك فقد أكدت معظم مفردات العينة مـن المراهقـات علـى أهميـة رأي الفتـاة والتعارف عن طريق الأسرة، ويرفضن فكرة الزواج فـي سـن مبكـرة، سـن المراهقة، وذلك بحسب ما جاء فـي دراسـة أجريـت فـي جامعـة الملكـة أروى للعلـوم الأكاديميـة: دراسـة اجتماعيـة-ميدانيـة حـول فهـم عناصـر الثقافات الفرعية المؤثرة في السلوك السكاني فـي الجمهوريـة اليمنيـة. صنعاء.1999م.

35. يشـيع فـي الـيمن، والخلـيج عامـة، أن للحجـاب وظيفـة تنكريـة، فعندما تضعه المرأة تحصل على حرية حركة مطلقة وتفقد الرقابـة دورهـا ووظيفتها.

36. *"الانتقال إلى مرحلة النضج"*، مسح قومي حول النشء فـي مصـر، الـذي قـام بـه مجلـس السـكان الـدولي، نيويـورك – الولايـات المتحـدة الأمريكية. القاهرة ط 2001.

37. نفس المرجع، ص 165-167.

38. غاسـتون بويتـول: هـذه هـي الحـرب، ترجمـة مـروان القنـواتي، منشورات عويدات، بيروت، 1981.

39. غاستون بوتول: نفس المرجع، ص 5.
40. E, Babinter: *L'un est l'autre,* Odile Jacob, Paris, 1989. pp 214-220
41. غاستون بوتول: نفس المرجع، ص 49.
42. نفس المرجع، ص 59.
43. نفس المرجع، ص 77.
44. نفس المرجع، ص 81.
45. E, T, Hall: La dimension cachée,Seuil, 1971, Paris. pp 21-60.
46. - نفس المرجع، ص 78.
47. "الفتاة العازبة"، في كتاب *الأسرة بين الواقع والمرتجى*"، أبحاث مؤتمر مؤسسات الصدر حول الأسرة، 1997.
48. ساهمت في إعداده جنان ملاط بشكل أساسي.
49. النساء والأسرة وقوانين الطلاق، نفس المرجع، ص 278- 283. أنظر بحثي المقدم إلى مؤتمر "العمل الأهلي في الجنوب" الذي قامت به مؤسسات الصدر الاجتماعية، صور، 2 آب 2000.
50. وذلك لا يعني المجتمع اللبناني فحسب، بل العربي عامة، ويحتاج الأمر إلى إجراء العديد من الأبحاث الميدانية الدقيقة للكشف عن بعض "أمراضنا" المتفشية.

المجلـة الإلكترونية لشبكـة العلـوم النفسيـة

المجلد 1 – العدد الثاني 2004

Download All N° 2 eJournal
www.arabpsynet.com/apn.journal/apnJ2/apnJ2.exe

المجلـة الإلكترونية لشبكـة العلـوم النفسيـة

المجلد 1 – العدد الأول 2004

Download All N° 1 eJournal
www.arabpsynet.com/apn.journal/apnJ1/apnJ1.exe

الكتـاب الذهبـي لأساتـذة علـم النفـس

www.arabpsynet.com/propsitions/ConsGoldBook.asp

شـــارك برأيـــك

www.arabpsynet.com/propsitions/PropForm.htm

الكتـاب الذهبـي للأطبـاء النفسانيين

www.arabpsynet.com/propsitions/ConsPsyGoldBook.asp

شـــارك برأيـــك

www.arabpsynet.com/propsitions/PropForm.htm

الطـــب النفســـي المعاصـــر

أ.د. أحمـــد عكاشـــة

Summary : www.arabpsynet.com/Books/Okasha.B1.htm

نحـــو سيكولوجيـــة عربيـــة

أ.د. محمـــد أحمـــد النابلســـي

Summary : www.arabpsynet.com/Books/Nab.B2.htm